

العبادات أسباب تحمي من المصائب وترفعها بإذن الله
للدكتورة: منيرة بنت محمد المطلق

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه من يهده الله فلا مضل له
ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله^(١).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (سورة النساء: ١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾
(الأحزاب: ٧٠).

أما بعد : فلقد بين سبحانه وتعالى الحكمة من خلق الثقلين ألا وهي
الخشوع لأمره وحكمه المتمثل بعبادته سبحانه - قال تعالى:

(١) أخرجه مسلم ٥٩٣/٢.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

وأمرنا بالتسليم والرضا بقضائه وقدره - سبحانه - والذي هو الركن السادس من أركان الإيمان المتلازمة والتي لا يغني بعضها عن بعض ، فعلينا أن نؤمن بأن ما يقع للعبد من مصائب إنما هو بقضاء الله وقدره وعلى العبد حماية نفسه ودفعها عنه ، وإن وقعت فعليه الصبر ومحاولة معالجتها ورفعها ، ويكون منعها باتخاذ الأسباب المانعة لها مثل الدعاء . قال ﷺ : « لا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر ، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه »^(١) فالدعاء يرد القضاء بإذن الله والبر من أسباب جلب النعم ، والذنوب من أسباب وقوع المصائب كما بان واستبان من هذا الحديث حتى منع الرزق . وجميع هذه الأسباب من قدر الله والتي جعل الله للإنسان السعي فيها .

(فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما^(٢) أن عمر بن الخطاب^(٣) رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه

(١) أخرجه ابن ماجه: ١٣٣٤/٢ ، وأحمد: ٢٧٧/٥ ، والحاكم بلفظه ٦٧٠/١ ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه) وتابعه الذهبي .

(٢) هو: حبر الأمة عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ﷺ ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، فقيه العصر ، وإمام التفسير ت: ٦٨ هـ ، انظر: سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ٣٣١/٣ .

(٣) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، أمير المؤمنين ، مناقبه أكثر من

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه^(١) وأصحابه فأخبروه بأن الوباء قد وقع بأرض الشام قال ابن عباس فقال عمر : ادع لي المهاجرين الأولين ، فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا ، فقال بعضهم قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء فقال : ارتفعوا عني ثم قال ادع لي الأنصار فدعوتهم فاستشارهم فسلخوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال : ارتفعوا عني ثم قال ادع لي من كان هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم ، فلم يختلف منهم عليه رجلان فقالوا نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنادى عمر في الناس إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه قال أبو عبيدة بن الجراح : أفرار من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها

أن تحصي وأشهر من أن تذكر، انظر أسد الغابة: ١٤٦/٤، التهذيب: ٣٨٦/٧ .

(١) هو: عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفهري أبو عبيدة و كان إسلامه قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم فهو أحد العشرة السابقين إلى الإسلام وهاجر الهجرتين وشهد بدرا وما بعدها وهو الذي انتزع الحلقة من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنيثا أبي عبيدة وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم (لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح) أخرجه البخاري: ٤ : ١٥٩٢ ، و مسلم : ٤ : ١٨٨١ اتفقوا على أنه مات في طاعون عمواس بالشام سنة ثمان عشرة. انظر الإصابة / ابن حجر ٥٨٦/٣ و ٥٨٩ .

يا أبا عبيدة نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله أرأيت لو كان لك إبل هبطت وادياً له عدوتان إحداها خصبه والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبه رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ، قال فجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه^(١) وكان متغيباً في بعض حاجته فقال : إن عندي في هذا علماً سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه قال فحمد الله عمر ثم انصرف^(٢).

أهمية هذا البحث :

ظهرت أهمية الموضوع من حيث :

١- تمسك بعض العوام بقول: (اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه)^(٣) وجعلوه حديثاً فتخلوا عن فعل الأسباب التي تحمي من المصائب وترفعها بإذن الله ومن أهمها الدعاء.

٢- إن من فوائد العبادات أنها أسباب تحمي من المصائب

(١) هو: عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري، توفي الرسول - ﷺ - وهو عنه راض،

هاجر الهجرتين، كان كثير النفقة في سبيل الله - تعالى -، ت: ٣١هـ، وعمره (٧٢)

سنة، انظر: الإصابة/ ابن حجر: ٣٤٦/٤ - ٣٤٩.

(٢) أخرجه البخاري : ٢١٦٣/٥ .

(٣) لم أجده في كتب السنة أو الأحاديث الضعيفة و الموضوعه.

وترفعها إذا وقعت بإذن الله .

منهجي في البحث :

١- إن كثيراً من العبادات لها فوائد عديدة في الدنيا والآخرة ولكن لم أذكر إلا ما يخص البحث وهو الحماية من المصائب ورفعها في الدنيا.

٢- إن هناك الكثير من العبادات التي تحمي من المصائب وترفعها بإذن الله ولم أتطرق لها لأنني قصدت ذكر أمثلة على أن من فوائد العبادات الحماية من المصائب ورفعها ولم أقصد حصر العبادات لكثرتها.

خطوات البحث :

وتتكون من تمهيد وستة مباحث وخاتمة وفهارس .

التمهيد : وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أنواع المصائب وأسبابها وفيه ثلاث مسائل .

المسألة الأولى : معنى المصيبة في اللغة وفي الاصطلاح .

المسألة الثانية : أنواع المصائب .

المسألة الثالثة : أسباب وقوع المصائب .

المطلب الثاني : الأسباب وفيه ثلاث مسائل .

المسألة الأولى : معنى السبب في اللغة والاصطلاح.

المسألة الثانية : أقسام الأسباب.

المسألة الثالثة : حكم الأخذ بالأسباب.

المطلب الثالث: العبادة وفيه مسألتان.

المسألة الأولى : معنى العبادة في اللغة والاصطلاح.

المسألة الثانية : أقسام العبادة.

مباحث الخطة: وهي ستة مباحث :

المبحث الأول : التوكل يحمي من المصائب قبل وقوعها
ويعالجها بعد وقوعها.

المبحث الثاني : الأذكار تحمي من المصائب قبل وقوعها وترفعها
بعد وقوعها .

المبحث الثالث : الصلاة تحمي من المصائب قبل وقوعها
وترفعها بعد وقوعها.

المبحث الرابع : الصلاة على الرسول ﷺ تحمي من المصائب قبل
وقوعها وترفعها بعد وقوعها .

المبحث الخامس : الصدقة تحمي من المصائب قبل وقوعها
وترفعها بعد وقوعها.

المبحث السادس : البر بالوالدين يحمي من المصائب قبل وقوعها

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... د. منيرة بنت محمد المطلق

ويرفعها بعد وقوعها .

التمهيد: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أنواع المصائب وأسبابها وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى معنى المصيبة:

أولاً: في اللغة : الصوب مثل الصيب وتقول صابه المطر وصوبت
الفرس إذا أرسلته في الجري والصواب ضد الخطأ واستصوبه
و استصابه و أصابه رآه و أصابته مصيبة فهو مصاب والمصابة
والمصيبة ما أصابك من الدهر وكذلك المصابة و المصوبة بضم
الصاد والتاء للدهاية أو للمبالغة والجمع مصاوب ومصائب، الأخير
على غير قياس^(١).

ثانياً: في الاصطلاح: يقول الجرجاني^(٢): (المصيبة ما لا
يلائم الطبع كالموت و نحوه)^(٣)، وقال المناوي^(٤) (المصيبة اسم

(١) انظر: لسان العرب/ابن منظور: ٥٣٥/١.

(٢) هو: الشريف أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحسين الجرجاني الحنفي، المتوفى
بشيراز سنة : ٨١٦هـ، انظر: الرسالة المستطرفة / محمد بن جعفر الكتاني: ٢١٧/١ .

(٣) التعريفات/الجرجاني ج ١/ص ٢٧٨.

(٤) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحداوي ثم
المناوي القاهري، من كبار العلماء ، انزوى للبحث والتصنيف، له نحو ثمانين
مصنفاً منها الكبير والصغير والتام والناقص. توفي سنة ١٠٣١هـ. انظر: الأعلام

لكل ما يسوء الإنسان^(١)، وقال الكلبي^(٢) : (المصيبة ... ما يصيب من البشر)^(٣).

المسألة الثانية: أنواع المصائب :

إن المصائب نوعان: فهي عامة تصيب الأرض كالكوارث ، وخاصة تصيب الأفراد قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (سورة الحديد (٢٢) .

فهناك مصيبة في الأرض و هي : السنون يعني الجذب بقحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار ، وذهاب زرعها وفسادها بالزلازل، و العواصف أو الفيضانات ، و الحروب . ومصيبة في الأنفس و هي : الموت والأوجاع والأمراض والأسقام وفقد الأولاد والفقر أو الخوف ، وغير ذلك^(٤). قال تعالى:

للزركلي ٧٥/٧.

(١) التعاريف/ المناوي: ج ١/ص ٦٦٠.

(٢) هو: الشيخ محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي المعروف بابن جزي، له كتب منها: التسهيل لعلوم التنزيل ، ت : ٧٤١ هـ . انظر: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ج ٣/ص ٢٨٨.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ج ٤/ص ٩٩.

(٤) انظر تفسير الطبري ج ٢٧/ص ٢٣٣ ، وزاد المسير ج ٨/ص ١٧٣، وتفسير ابن

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... د. منيرة بنت محمد المطلق

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَّاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿سورة البقرة (١٥٥ : ١٥٧)﴾

وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذُو عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ (سورة المائدة (١٠٦)). وهذه حال الإنسان في الدنيا قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (البلد: ٤) يقول ابن كثير^(١): "أي يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة"^(٢).

ويقول الشاعر :

ما أكثر الشاكين من دنياه ليت شعري هذه الدنيا لمن^(٣)

ويقول آخر :

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغربطيب العيش إنسان

كثير: ج ١/ص ١٩٨ و ج ٤/ص ٣١٥ .

(١) هو: أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، حافظ، مؤرخ، فقيه، مفسر، له مصنفات عديدة منها (تفسير القرآن العظيم) (البداية والنهاية)، ت: ٧٧٤هـ، انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٤٤٢/٥، ط/١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٢) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير : ١٠٩/٤ .

(٣) ديوان مهيار الديلمي: ١٥٨٨.

هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان^(١)
ومن أشد المصائب أن يصاب الرجل بدينه من حيث لا يشعر
يقول القرطبي:

فمن البلية أن ترى لك صاحباً في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله وإذ يصاب دينه لم يشعر^(٢).
المسألة الثالثة: أسباب وقوع المصائب.

أسباب وقوع المصائب عديدة وأولها الذنوب قال تعالى:
﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَبْتَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ
بِاللَّهِ إِنَّ أَرْدَنَّا إِلَّا أَحْسَنًا وَتَوَفِّيًّا﴾ سورة النساء (٦٢)، وقال: ﴿مَا أَصَابَكَ
مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ
شَهِيدًا﴾ سورة النساء (٧٩)، وقال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَمِمَّا
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ سورة الشورى (٣٠).
وبعض الأسباب :

(١) العقوبة على الذنوب مثل الشرك والكفر والموبقات :
لقد حرم الله الذنوب والفواحش ما كان علانية وما بطن منها^(٣)

(١) الشاعر صالح بن شريف الرندي. انظر: نفح الطيب/ للمقري التلمساني: ٤٨٧/٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي: ٨/١٤.

(٣) انظر جامع البيان / الطبري: ١٦٦/٨.

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة القصص (٤٧)، وقد أهلك سبحانه وتعالى قوم نوح بالغرق لشركهم ، قال تعالى عن قوم نوح: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ١٤).

وقال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفرقان: ٣٧). وقضى على فرعون وقومه بالغرق، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَيْنَاهُمْ أَتَيْنَاهُمْ مِنْهُمْ فَاعْرِفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الزخرف: ٥٥). وسلط الله الطاعون على اليهود عقوبة لهم ، قال ﷺ: «الطاعون رجز وعذاب أرسل على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم»^(١). وقال ﷺ: «كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء»^(٢). ولقد دعا هود قوم له للحق فكذبوه وخالفوه وعاندوه فأرسل عليهم ريح شديدة الهبوب ذات برد شديد^(٣). قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٦)، وعندما أنكر قوم صالح الرسل وعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وتكبروا وتجبروا على اتباع الرسل أخذتهم الصيحة^(٤).

(١) أخرجه مسلم : ٤ / ١٧٣٧ .

(٢) أخرجه البخاري : ٦ / ٢٤٤١ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير : ٣ / ٣٤٣ .

(٤) انظر جامع البيان / الطبري : ٨ / ٢٣٢ .

قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِئَرِهِمْ جَثِمِينَ﴾ (هود: ٩٤).

وما كان حال قوم شعيب بأحسن منهم عندما كفروا بالله فإن الله تعالى حبس عليهم الريح سبعة أيام وسلط عليهم الحر حتى أخذ بأنفاسهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فكانوا يدخلون الأسراب ليتبردوا فيها فيجدوها أشد حراً من الظاهر فهربوا إلى البرية فأظلمت سحابة وهي الظلة فوجدوا لها برداً ونسيماً فأمرت عليهم ناراً فاحترقوا (وقيل) سلط الله عليهم الحر سبعة أيام ولياليهن ثم رفع لهم جبل من بعيد فأتاه رجل فإذا تحته أنهار وعيون وشجر وماء بارد فاجتمعوا كلهم تحتها فوقع عليهم الجبل وهو الظلة^(١)، وأهلك أصحاب الفيل بالحجارة قال تعالى: ﴿تَزْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ (الفيل: ٤).

(٢) العقوبة على الذنوب التي دون الشرك والكفر الأكبر لتطهير العباد من ذنوبهم وتمحيصهم:

إن من أسباب المصائب التي تصيب الناس في الدنيا في أنفسهم وأهلهم وأموالهم هو من كسب وعمل أيديهم وأن ما يصيبهم من ذلك عقوبة من الله لهم بما اجتروحوا من الآثام^(٢) قال تعالى:

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن / القرطبي.

(٢) جامع البيان/الطبري: ٢٣٥/٢٧.

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى: ٣٠) .
وقال تعالى : ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾
(النساء: ٧٩)، يقول ابن كثير : " من نفسك أي بذنبك " (١) .
(فالحسنات هنا النعم والسيئات المصائب) (٢) .

وقال ﷺ حين نزلت هذه الآية: « ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر » (٣) . وقال ﷺ :
« يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا الله تعالى عنه في الدنيا فالله تعالى أحلم من أن يعود بعد عفوه » (٤) .

وقد توعد المصطفى ﷺ أمته بالعذاب من الله إن أعلنوا بالمعاصي فقال : « إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله - عز وجل بعذاب من عنده » فقالت أم سلمة: يا رسول الله أما فيهم يومئذ أناس

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير : ٥٢٩ / ١ .

(٢) القضاء والقدر / عمر الأشقر : ٦٩ .

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٥٣/٧ ، وهناد في الزهد : ١ : ٢٤٩ ، وأورده ابن كثير في التفسير : ١ / ٥٢٩ ، والمناوي في فيض القدير ٥/٤٩٢ ، وقال الألباني في : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١٧٩٦ (ضعيف) .

(٤) أخرجه أحمد : ١/٩٩ ، والطبراني في الأوسط ٦/٢٠٦ ، والبزار في مسنده : ٢/١٢٧ ، وقال السيوطي في التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/٣٩٩ : (إسناده جيد) .

صالحون؟ قال بلى ، قالت فكيف يصنع أولئك ؟ قال : يصيبهم ما أصاب الناس ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان»^(١) وقال ﷺ : «مينا أن ظهور الفاحشة والإعلان والجهور بها يسبب المصائب: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا»^(٢)، وقال أيضاً ﷺ : «ألا إن الله ليمنع العبد الرزق بذنب يصيبه»^(٣)، وقال ﷺ «الزنى يورث الفقر»^(٤).

وقال الشاعر :

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم

(١) أخرجه أحمد: ٣٠٤/٦ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٦٨/٧ : (رواه أحمد بإسنادين، رجال أحدهما رجال الصحيح) وفي رواية (ما ظهرت فاحشة في قوم إلا سلط الله عليهم الموت ولا منع قوم قط الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر) أخرجه الحاكم: ١٣٦/٢، وقال (حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٦٦/٧ (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير رجاء بن محمد وهو ثقة) .

(٢) أخرجه ابن ماجه بلفظه: ١٣٣٢ / ٢ ، والحاكم: ٥٨٣/٤، وقال: (صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

(٣) أخرجه ابن ماجه: ١٣٣٤/٢ وأحمد: ٢٧٧ / ٥ ، والحاكم: ٥٤٨/٣، وقال: (حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) .

(٤) أخرجه الديلمي في الفردوس: ٣٠٢/٢ ، والشهاب في مسنده، ٥ : ٧٣/١، وقال: الألباني في: ضعيف الترغيب والترهيب ١٤٣٢ (منكر) .

وداوم عليها بذكر الإله فإن الإله سريع النقم^(١)
يقول الإمام ابن القيم : (إن ابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج منه
الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته أو نقصت ثوابه وأنزلت درجته
فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء ويستعد به لتمام الأجر
وعلو المنزلة ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه)^(٢).
(٣) اختبار صبر العباد وشكرهم :

قد يتلى الله الناس بالبلايا والمصائب والنعم ليتبين شكر
المحسن وصبره وكفر المتسخط يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :
(ومما يظهر الأمر ما ابتلى الله به عباده في الدنيا من السراء والضراء
وقال سبحانه : ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي
أَكْرَمَنِي ۖ ﴾^(١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿ ﴾ (الفجر: ١٥ -
١٦) . يقول الله سبحانه ليس الأمر كذلك، ليس إذا ما ابتلاه فأكرمه
ونعمه يكون ذلك إكراماً مطلقاً وليس إذا ما قدر عليه رزقه يكون
ذلك إهانة بل هو ابتلاء في الموضوعين وهو الاختبار والامتحان فإن
شكر الله على الرخاء وصبر على الشدة كان كل واحد من الحالين
خيراً له كما قال النبي : « لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً
له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له

(١) أورده البيهقي في الشعب : ١٣٢ / ٤ ، ديوان علي بن أبي طالب : ١٤٥ / ١ .

(٢) إغاثة اللهفان / ابن القيم : ١٨٨ / ١ ، ١٨٩ / ٢ .

وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له»^(١) وإن لم يشكر ولم يصبر كان كل واحد من الحالين شراً له^(٢)

(٤) لبيان حكمة الله في مزج الخير بالشر :

إن ابتلاء الله - عز وجل - بالمصائب غاية الخلق والأمر، وجعله سبحانه بدار التكليف لا في دار الجزاء والنعيم، فالابتلاء محك لبيان الشاكر والصابر من الكفار لنعمة ربه والمتسخط عليه . وذكر الإمام ابن القيم: (أن الابتلاء والامتحان من تمام نصره وعزه وعافيته؛ ولهذا كان أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأقرب إليهم فالأقرب، يتلى المرء على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة شدد عليه البلاء، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على وجه الأرض وليس عليه خطيئة، وأن ما يصيب المؤمن في هذه الدار من إدالة عدوه عليه وغلبته له وأذاه له في بعض الأحيان أمر لازم، لا بد منه، وهو كالحر الشديد والبرد الشديد، والأمراض والهموم والغموم، فهذا أمر لازم للطبيعة والنشأة الإنسانية في هذه الدار حتى للأطفال والبهائم؛ لما اقتضته حكمة أحكم الحاكمين، فلو تجرد الخير في هذا العالم عن الشر

(١) أخرجه مسلم : ٤ / ٢٢٩٥ .

(٢) قاعدة في المحبة / ابن تيمية : ١ / ١٥٦ ، وانظر الفوائد / ابن القيم : ١ / ١٥٥ ، عدة

الصابرين / ابن القيم : ١٢٥ .

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

الألم لكان ذلك عالماً غير هذا ونشأة أخرى غير هذه النشأة وكانت تفوت الحكمة التي مزج لأجلها بين الخير والشر والألم واللذة والنافع والضار^(١).

٥- لتذلل العباد بين يدي الله سبحانه :

لأن المؤمن إذا أصابه بلاء فزع إلى ربه واتجه إليه وتذلل وخضع بين يديه وطرق أبواب الخير من الصدقات والصلوات لأنه يعلم أن ربه يكشف سوءه ويجيب المضطر إذا دعاه .

يقول الإمام ابن القيم: (إن ابتلاء المؤمنين بغلبة عدوهم لهم وقهرهم وكسرهم لهم أحياناً فيه حكمة عظيمة لا يعلمها على التفصيل إلا الله عز وجل فمنها استخراج عبوديتهم وذلهم لله وانكسارهم له وافتقارهم إليه وسؤاله نصرهم على أعدائهم ولو كانوا دائماً منصورين قاهرين غالبين لبطروا وأشروا ولو كانوا دائماً مهضومين مغلوبين منصوراً عليهم عدوهم لما قامت للدين قائمة ولا كانت للحق كلمة^(٢) .

المطلب الثاني: الأسباب وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: معنى السبب في اللغة والاصطلاح:

(١) انظر: إغاثة اللهفان / ابن القيم : ٢ / ١٨٩ .

(٢) إغاثة اللهفان / ابن القيم : ٢ / ١٨٩ .

أولاً: في اللغة :

السبب له في اللغة عدة معان مختلفة منها : المودة^(١)، والمنازل^(٢)،
والجبل^(٣)، والنواحي^(٤) والأبواب^(٥)، والوصلة والذريعة: (وجعلت
فلاناً لي سبباً إلى فلان في حاجتي .. أي وصلة وذريعة)^(٦)،
والجمع أسباب ، فالسبب: كل شيء يتوصل به إلى غيره^(٧) .

ثانياً: في الاصطلاح:

١- قيل هو: (ما وضع شرعاً لحكم ، لحكمة يقتضيها ذلك
الحكم)^(٨) وقيل إنه : (ما يلزم من وجوده وجود المسبب ، ومن
عدمه عدمه)^(٩) ، وقيل هو: (عبارة عما يكون طريقاً للوصول إلى

(١) انظر لسان العرب/ابن منظور: ١ / ٤٥٨ ، وانظر تهذيب اللغة/الأزهري: ١٢ / ٣١٤ .

(٢) انظر لسان العرب/ ابن منظور: ١ / ٤٥٨ ، تهذيب اللغة /الأزهري: ١٢ / ٣١٤ .

(٣) انظر لسان العرب/ ابن منظور: ١ / ٤٥٨ ، الإفصاح في فقه اللغة /الصعدي، وموسى:
٢٥٦/١ .

(٤) لسان العرب/ ابن منظور: ١ / ٤٥٨ .

(٥) لسان العرب/ ابن منظور: ١ / ٤٥٨ ، وانظر النهاية/ابن الأثير: ٢ / ٣٢٩ .

(٦) لسان العرب/ ابن منظور: ١ / ٤٥٨ ، وانظر النهاية/ابن الأثير: ٢ / ٣٢٩ .

(٧) لسان العرب/ ابن منظور: ١ / ٤٥٨ ، وانظر الإفصاح في فقه اللغة /الصعدي،
وموسى: ٢ / ١٢٨٩ .

(٨) الموافقات في أصول الفقه/ الشاطبي: ١ / ٢٦٥ .

(٩) علم أصول الفقه/ خلاف: ١١٧ ، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً/لأبي حبيب :

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

الحكم المطلوب من غير أن يكون الوصول به ولكنه طريق الوصول إليه^(١).

والراجح والله أعلم : التعريف الثاني ، لأن الأول قد يخصص السبب الشرعي فقط ، وأما الثالث فتعريف القائلين بالكسب : فيجعلون الأسباب أمانة أو علامة وينفون العلة والسبب^(٢) فرجح الثاني إلا أنه لا يلزم من وجوده الوجود بصفة مستمرة بل إن ذلك بيد الله إن شاء أجرى الأسباب وإن شاء منعها بموانعها وأضدادها ، والأسباب ما لا غنى للإنسان عنها ، فإن أعجزه القضاء قال : حسبي الله ، فإذا قال حسبي الله بعد تعاطي ما أمره به من الأسباب قالها وهو محمود فانتفع بالفعل والقول ، وإذا عجز وترك الأسباب وقالها ، قالها وهو ملوم بترك الأسباب التي اقتضتها حكمة الله عز وجل ، فلم تنفعه الكلمة إنما نفعها لمن فعل ما أمر به .

المسألة الثانية: أقسام الأسباب:

تنقسم إلى قسمين: أولاً: شرعية. ثانياً: غير شرعية.

والأسباب الشرعية نوعان:

١٦٣ ، السبب عند الأصوليين/ عبدالعزيز الربيعه : ١٦٩/١ ، التأسيس في أصول

الفقه/ مصطفى بن محمد بن سلامة : ٥٨/١ .

(١) أصول السرخسي /أبو بكر محمد السرخسي: ٣٠١/١ .

(٢) انظر جامع الرسائل/ابن تيمية : ٨٨ /١ .

الأولى: دينية: وهي التي شرعها الله لعباده على لسان نبيه - ﷺ - .
الثانية: قدرية: وهي التي قد علم أو جرب نفعها مثل الأدوية
المباحة^(١).

والشرعية تنقسم إلى قسمين أيضا:

- قسم العبادات وقسم المعاملات^(٢).

أولاهما: العبادات: وهي التي وردت عن الله أو رسوله كالتوحيد،
والصلاة بحضور قلب وخشوع وذل وانكسار، والدعاء،
والاستغفار، والصدقة، وصلة الرحم^(٣). أما (المعاملات: فهي كالبيع
والشراء... وغيرها، وهذه لا بد من فعلها مع التوكل.

أما الأسباب القدريّة: فهي قسمان كذلك: أولهما: (ما أجرى الله
العادة به في الدنيا وأمر عباده بتعاطيه كالأكل عند الجوع، والشرب
عند العطش، والاستظلال من الحر، والتدفؤ من البرد، ونحو ذلك،
فهذا واجب على المرء تعاطي أسبابه ومن قصر به حتى تضرر

(١) انظر: القول السديد: الشيخ عبد الرحمن السعدي، ط/٢، الرياض، مؤسسة النور،
٣٣.

(٢) انظر: المدارج: ابن القيم، ط/ بدون، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، بيروت، دار الكتاب
العربي، ١/٤٢٠ - ٤٢١.

(٣) انظر: المدارج: ١٣٠/٢، التوضيح عن توحيد الخلاق: عبد الله بن سليمان، ط/١،
دار طيبة، ١٧٢.

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

بتركه، مع القدرة على استعماله، فهو مفرط يستحق العقوبة^(١).

وثانيهما: (ما أجرى الله العادة به في الدنيا في الأعم الأغلب، وقد يخرق العادة في ذلك لمن شاء من عباده وهي أنواع، كالأدوية مثلاً...) ^(٢).

أما الأسباب غير المشروعة: فهي الأسباب التي تتخذ وسائل، ووسائل في جلب النفع ودفع الضرر اللذين لا يقدر عليهما إلا الله وحده^(٣) وهذه الأسباب منفية بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية^(٤).

وهي محرمة وبعضها شرك أكبر يخرج من الملة مثل عبادة غير الله والتبرك به وصرف أنواع العبادة إليه وتعليق التمام والودع والعود إن علقها شخص معتقد فيها النفع من دون الله أو شرك

(١) تزكية النفوس: ابن القيم، وابن رجب، والغزالي، جمع ماجد بن أبي الليل، وأحمد مشرق، ط/ بدون، بيروت، دار الفكر، ٩٩ - ١٠٠.

(٢) المصدر السابق: ١٠٠.

(٣) انظر: التوضيح عن توحيد الخلاق: ١٧٢، فتح المجيد: عبد الرحمن بن حسن/ ط/ ١٤٠٣هـ، الرئاسة العامة لإدارة البحوث، ٢٣٩، صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان: للشيخ محمد بشير السهسواني الهندي، ط/ ٤، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م، مطابع القصيم، الرياض: ١٨٠.

(٤) انظر: التوضيح عن توحيد الخلاق: ١٧٢، صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان: ١٨٠.

أصغر إن جعلها سبباً لدفع الضرر.

المسألة الثالثة: حكم الأخذ بالأسباب :

لقد أمر - سبحانه - بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل عليه^(١) لأن مباشرة الأسباب عموماً أمر فطري لا انفكاك^(٢) لأحد منه وترك الأسباب مذموم شرعاً وعقلاً وحساً وفطرة^(٣) ومع ذلك لا يصح توكله ذاك إلا برفض تلك الأسباب عن قلبه لا عن جوارحه لأن توكله ينقص بقدر التفاته للأسباب وسكونه إليها^(٤)؛ لأن الالتفات إلى الأسباب شرك قادح في التوحيد، ومحوها أن تكون أسباباً نقص في العقل؛ والإعراض عنها بالكلية قادح في الشرع . فمجرد وجود السبب لا يوجب حصول المسبب . بل لا بد من انتفاء المانع ، ووجود المعين ، مع قابلية المحل ، وكل ذلك بمشيئة الله - سبحانه -^(٥).

(١) انظر الروح / ابن القيم : ٣٧٨ ، تلبس إبليس / ابن الجوزي : ٣٥٧ ، نيل الأوطار / الشوكاني : ٩٠١ .

(٢) انظر فتح المجيد / عبد الرحمن بن حسن : / ٥٣ .

(٣) انظر أعلام الموقعين / ابن القيم : ٢٢٤/٢ .

(٤) انظر جامع العلوم والحكم / ابن رجب : ٦٤٤ ، الفوائد / ابن القيم : ٨٧ ، تلبس إبليس / ابن الجوزي : ٣٥٥ ، الرسالة / القشيري : ١٦٣ ، شرح صحيح مسلم / النووي : ٩١/٣ .

(٥) انظر مجموع الفتاوى / ابن تيمية : ١٣١/١ ، مدارج السالكين / ابن القيم : ٤٩٩/٣ .

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

فعلى العبد أن يكون قلبه معتمداً على الله ، لا على الأسباب ، والله ييسر له من الأسباب ما يصلح شأنه في الدنيا والآخرة ، فإن كانت الأسباب مقدرة له وهو مأمور بها فعلها مع التوكل على الله في إتمام النتيجة ، كما يؤدي الفرائض ، وكما يجاهد العدو ، ويحمل السلاح ، ويلبس جنة الحرب ، ولا يكتفي في دفع العدو على مجرد توكله بدون أن يفعل ما أمر به من الجهاد ، ومن ترك الأسباب المأمور بها ، فهو عاجز مفرط مذموم^(١).

بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي جعلها الله مقتضيات لمسبباتها قدراً وشرعاً ، وتعطيها يقدر في نفس التوكل ، كما يقدر في الأمر والحكمة ، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل ، فإن ترك الأسباب عجز ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد أو دفع ما يضره في دينه ودنياه^(٢) مع الأخذ بالأسباب لأن قيام العبد بالأسباب المأمور بها محض العبودية^(٣) فإن لم يقم بها كان معطلاً للحكمة

(١) انظر القضاء والقدر/ ابن تيمية : ٣٥٥ ، و عدة الصابرين/ ابن القيم : ١٤٢ .

(٢) انظر جامع العلوم/ والحكم/ ابن رجب : ٦٤٤ ، وزاد المعاد/ ابن القيم : ١٥/٤ ، و الروح/ ابن القيم : ٣٧٨ ، وفتح الباري/ ابن حجر : ٤١٠ ، ٤٠٩/١١ ، فتح المجيد/

عبد الرحمن بن حسن : ٥٣ ، تيسير العزيز/ : ١١١ ، ٥٠٢ .

(٣) انظر مدارج السالكين/ ابن القيم : ١٣٠/٢ .

والشرع ، فلا يجعل العبد عجزه توكلًا^(١) ، وتوكله عجزاً بل يجعل توكله من جملة الأسباب التي لا يتم المقصود إلا بها^(٢) .
 (لأن حكمة أحكم الحاكمين اقتضت ربط المسبب به (أي بالسبب) فلا تعطل حكمته مهما أمكنك القيام بها ولا سيما إذا فعلته عبودية^(٣) فقد قال سبحانه : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المائدة: ١١) .

فجعل التقوى القيام بالأسباب المأمور بها ، فحينئذ من توكل على الله فهو حسبه أما التوكل بدون القيام بالأسباب فإنه عجز محض^(٤) لأن الأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه ، والمتوكل عليه متعلق بربوبيته وقضائه وقدره^(٥) . وهي قاعدة مطردة في جميع الأسباب ومسبباتها ، حتى دخول الجنة والنجاة من النار ، برحمة الله تعالى مع فعل الأسباب المؤدية إليهما^(٦) .

(١) انظر زاد المعاد/ابن القيم : ١٥/٤ .

(٢) انظر تلبس إبليس/ابن الجوزي : ٣٥٧ ، الروح/ابن القيم : ٣٧٨ ، فتح المجيد / عبد الرحمن بن حسن : ٢٩٣ ، تيسير العزيز/سليمان بن عبد الله : ٥٠٢ .

(٣) الفوائد/ابن القيم : ٨٦ - ٨٧ .

(٤) انظر تيسير العزيز/سليمان بن عبد الله : ٥٠٢ ، فتح المجيد / عبد الرحمن بن حسن : ٢٩٣ .

(٥) مدارج السالكين/ابن القيم : ١٢٠/٢ .

(٦) انظر الروح/ابن القيم : ٣٧٨ - ٣٧٩ .

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

فالله - تعالى - لم يجر أحكام الدنيا على علمه في عباده وإنما أجراها على الأسباب التي نصبها أدلة عليها^(١) وهذه الأحكام والنواميس ، وتلك القوانين لا يخرقها إلا لنبي أو رسول ، وهذه هي الآية والعلامة التي تدل على صدقه ، مع كونه - سبحانه - قادراً في كل حال ، فنصر المؤمنين مثلاً لا يعني ألا يأخذوا بأسباب النصر ويريدونه فإن النصر في هذه الحالة مستحيل وقدرته - سبحانه - لا تتعلق بالمستحيل^(٢) . ولقد أجمعت الأمة على أن التوكل لا ينافيه القيام بالأسباب ، وإلا فيعد بطالة لا توكل^(٣) لأن التوكل لا ينافيه دفع الأشياء بأضدادها ، مثل دفع الجوع والعطش والمرض بما يذهب^(٤) . بل إن التوكل من أعظم الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار^(٥) فمن أنكرها لم يتم توكله^(٦) فالسعي في الأسباب يكون بالجوارح وهذا طاعة له - سبحانه - والتوكل عليه

(١) انظر أعلام الموقعين/ابن القيم : ٣ / ١٣٨ .

(٢) انظر الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة/عبدالرحمن الدوسري : ١٢١ - ١٢٢ .

(٣) انظر جامع العلوم والحكم/ابن رجب : ٦٤٤ ، الفوائد/ابن القيم : ٨٦ ، تزكية النفوس : ٩٩ .

(٤) انظر فتح المجيد / عبد الرحمن بن حسن : ٥٣ .

(٥) انظر مدارج السالكين/ابن القيم : ٢ / ١٢٠ ، تيسير العزيز ، ٥٠٢ و ٥٠٥ ، فتح المجيد : ٢٩٢ .

(٦) انظر مدارج السالكين/ابن القيم : ٢ / ١٢٠ .

يكون بالقلب ، وهذا إيمان به ؛ فالحركة إنما تكون في الظاهر، وهذا لا ينافي التوكل ؛ قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ (النساء: ٧١)، وقال تعالى: ﴿وَأَعِذُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (الأنفال: ٦٠)، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (الجمعة: ١٠).

المطلب الثالث: : العباداة: وفيه مسألتان.

المسألة الأولى: معنى العباداة في اللغة والاصطلاح.

أولا : في اللغة :

العبد ضد الحر، و العبودية الخضوع والذل والتعبد التذليل وطريق معبد يطلق على الطريق الممهد المذل للسالكين.
والتعبد التنسك، والعبد يطلق على الغضب والأنفة .يقول الرازي:
(العبد ضد الحر...وأصل العبودية الخضوع والذل و التعبد التذليل يقال طريق معبد و التعبد أيضا الاستعباد وهو اتخاذ الشخص عبدا وكذا الاعتبار ... وكذا الإعباد و التعبد أيضا يقال تعبده أي اتخذه عبدا و العباداة الطاعة و التعبد التنسك و عبد من باب طرب أي غضب وأنف)^(١).

ثانيا: في الاصطلاح :

(العبادة في اصطلاح العلماء...عرفها طائفة بقولهم العباداة ما أمر به

(١) مختار الصحاح/ ج١/ ص١٧٢.

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

شرعا... وعرفها طائفة بأنها كمال الحب مع كمال الخضوع، قال شيخ الإسلام: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الباطنة، والظاهرة كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار، والمنافقين، والإحسان إلى الجار، واليتيم، والمسكين، والمملوك من آدميين، والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة وكذلك حب الله، ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه والشكر لنعمه، والرضى بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه وأمثال ذلك فالدين كله داخل في العبادة انتهى وكل هذه التعريفات للعبادة معناها واحد^(١).

المسألة الثانية: أقسام العبادة.

أولا: من حيث نوع العمل:

- ١- عبادات بدنية: كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر.
- ٢- عبادات مالية: كالزكاة، والوفاء بالنذر.
- ٣- عبادات بدنية ومالية في نفس الوقت كالحج^(٢).

(١) شرح قصيدة ابن القيم/ ج ٢/ ص ٢٥٩.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز ج ١/ ص ٥١١ - ٥١٦.

ثانياً: من حيث الجهة التي تقوم بها:

١- عبادة القلب^(١): كالمحبة والخوف والرجاء والتوكل والرغبة.

٢- عبادة اللسان : كالذكر والدعاء

٣- عبادة الجوارح: كالصلاة والجهاد^(٢). وهذه العبادات متداخلة

فقد يشترك فيها أكثر من جهة.

المباحث:

المبحث الأول: التوكل على الله يحمي من المصائب قبل وقوعها ويعالجها بعد وقوعها بإذن الله.

تمهيد: لقد ورد في الشريعة أسباب عديدة لدفع البلاء والمصائب قبل وقوعها إذا فعلها الإنسان بإخلاص لربه، وهذه الأسباب تنفع كذلك من وقعت به المصيبة فترفعها - بإذن الله - ومن هذه الأسباب التوكل على الله، والتوكل من أعظم الأسباب لدفع المكروه، ورفع. معنى التوكل في اللغة :

يقول الفيروز أبادي: (وكل إليه الأمر وكلاً ووكلوا: سلمه وتركه ورجل وكل محرقة ووكله وتكّله كهَمْزة ومواكل : عاجز ووكلت الدابة وكالاً أساءت السير ووكلت: فترت وتواكلوا مواكلة

(١) انظر: هداية الحيارى ج ١/ص ٧٧.

(٢) انظر: غاية الأمانى /محمود شكري الألوسي: ٣٤١/١.

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... د. منيرة بنت محمد المطلق

ووكالاً أتكل بعضهم على بعض^(١).

التوكل في الاصطلاح:

هو ثقة القلب واعتماده على الله وحده، مع فعل الأسباب بالجوارح دون الاعتماد عليها، وأن الله إن شاء منعها وإن شاء أجزاها^(٢). فلذلك لا بد من الأخذ بالأسباب وإلا يكون فعله تواكلاً. يقول الشاعر:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها

إن السفينة لا تجري على اليبس^(٣)

من توكل على الله وفعل السبب دون مبالغة فيه حل الرجاء في نفسه بدل الخوف وحسن الظن بالله - عز وجل - بدل سوء الظن فلا ييأس، قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (سورة آل عمران: ١٧٣)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِئُشُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة يوسف: ٨٧)، وإذا توكل على الله حل الصبر بدل

(١) القاموس المحيط/ الفيروزآبادي: ١/ ١٣٨١.

(٢) انظر تلبيس إبليس/ ابن الجوزي: ٣٥٥، وجامع العلوم والحكم/ ابن رجب: ٦٤٤، والتحفة العراقية/ ابن تيمية: ٧٤، ومدارج السالكين/ ابن القيم: ١١٥/ ٢-١٣٦، ومختصر منهاج القاصدين/ ابن قدامة: ٤٢٠.

(٣) انظر (أبو العتاهية أشعاره وأخباره): ١٩٤، ت: شكري فيصل، والشوارد، عبد الله

ابن خميس: ١/ ٣٥٨.

الجزع يقول تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (سورة: إبراهيم: ١١-١٢) فعلى العبد ألا يظن بالله إلا خيراً ويرجوه ويحسن الظن به، قال ﷺ في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي فلا يظن إلا خيراً»^(١)، وفي رواية: «فليظن بي ما شاء»^(٢) وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل قال: أنا عند ظن عبدي بي إن ظن بي خيراً فله وإن ظن شراً فله»^(٣).

وقد بوب ابن حبان^(٤) في صحيحه بهذه العبارة (ذكر إعطاء الله جل وعلا العبد المسلم ما أمل ورجا من الله عز وجل)^(٥) فالله هو الذي

(١) أخرجه البخاري: ٣٢٠/٤.

(٢) أخرجه أحمد ٤٩١/٣، وابن حبان: ٤٠١ / ٢ ، والدارمي: ٣٩٥/٢، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه أحمد: ٣٩١ / ٢ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٣١٩ / ٢ ، (رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وفيه كلام).

(٤) أبو حاتم محمد بن حبان التميمي البستي الحباني كان إماماً فاضلاً مكثراً من الحديث والرحلة والشيخوخة عالماً بالمتون والأسانيد أخرج من معاني الحديث ما عجز عنه غيره ومن تأمل تصانيفه وطالعها علم أن الرجل كان بحراً في العلوم، ت: ٣٥٤هـ. انظر: الأنساب/ السمعاني/ ١٦٤/٢.

(٥) صحيح ابن حبان: ٤٠٢ / ٢ .

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... د. منيرة بنت محمد المطلق

يقي عبده ويكفيه من جميع ما أهمه وينصره على عدوه يقول تعالى:
﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ
قَدْرًا ﴿(سورة الطلاق: ٣)، ويقول تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ
وَكِيلًا﴾ (سورة النساء: ٨١)، ويقول سبحانه: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا
غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُ لَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٦٠).

فيحسن بالمسلم الظن بربه سبحانه وأن الله سيسر أموره ويتقبل
عمله قال صلى الله عليه وسلم: «قال الله عز وجل أنا عند ظن
عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي
وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلي شبرا
تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني
يمشي أتيته هرولة»^(١).

ويوقن المسلم أن دعاءه لن يخيب فعن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال: قال الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا
دعاني»^(٢)، فالعبد المؤمن يتوكل على الله ويستعين به وحده يقول
الشاعر:

من استعان بغير الله في طلب فإن ناصره عجز وخذلان^(٣)

(١) أخرجه البخاري: ٦ / ٢٦٩٤، ومسلم: ٤ / ٢٠٦٧.

(٢) أخرجه مسلم: ٤ / ٢٠٦.

(٣) قصيدة عنوان الحكم/ البستي: ٣٦، البيت لعلّي البستي.

ويقول آخر:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده^(١)

والمؤمن يعمل الأسباب لدفع المضار ومنها السحر والعين ويتوكل على الله في حفظه لأن الخوف الشديد من العين أو السحر أو الجن يعد من التطير الذي ينافي كمال التوكل^(٢).

وعلى المؤمن كذلك أن يتوكل عليه في رفع المصائب والأدواء، فإذا أصابه هم فليذكر قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (سورة الشرح: ٥: ٦).

قال ابن كثير: (وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك وهو يقول: لن يغلب عسر يسرين لن يغلب عسر يسرين)^(٣). والله يقول: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (سورة الطلاق: ٧)، فذكر سبحانه العسر ثم أعاده بالألف واللام فعلم أنه هو ولما ذكر يسرا ثم أعاده بدون الألف واللام علم أن الثاني غير الأول فصار العسر الثاني العسر الأول وصار اليسر الثاني غير اليسر

(١) البيت لعلي بن أبي طالب: انظر سبل السلام/الصنعاني: ٤/ ٢٠٧، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ البسامي: ٥/ ١٨٥.

(٢) انظر لطائف المعارف/ ابن رجب: ٧١.

(٣) أخرجه البخاري: ٤/ ١٨٩٢.

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... د. منيرة بنت محمد المطلق

الأول^(١)، يقول الفراء^(٢): (العرب إذا ذكرت نكرة ثم أعادتها بنكرة مثلها صارتا اثنتين وإذا أعادتها بمعرفة فهي هي)^(٣).

فلذلك على المسلم أن يستيقن زوال العسر بإذن الله وتفريج الهموم وأن ذلك اليسر والفرج أقرب إليه مما يتخيل،

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ (سورة: التوبة: ٥٩)، ويقول صلى الله عليه وسلم: «اعلم أن الصبر مع النصر، واعلم أن مع الكرب الفرج واعلم أن مع العسر اليسر»^(٤).

وللتوكل على الله ثمار عديدة لأن التوكل على الله - سبحانه - من أعظم الأسباب التي يدفع العبد بها ما لا يطيق ويرفع ما يصيبه من الأذى، والظلم والعدوان، فمن توكل على الله كفاه وأمنه مما يخاف ويحذر، وجلب إليه المنافع التي يحتاجها، وإذا كان الله كافيه - سبحانه - فلا مطمع لعدو فيه ولا يصل إليه ضرر إلا أذى لا بد

(١) انظر لسان العرب/ابن منظور: ٤/ ٥٦٣

(٢) هو: الحسين بن مسعود بن الفراء، أبو محمد، محيي السنة، فقيه، محدث، مفسر من مؤلفاته، شرح السنة ولباب التأويل ت: ٥١٠ انظر سير أعلام النبلاء/الذهبي: ٤٣٩/١٩.

(٣) انظر لسان العرب/ابن منظور: ٤/ ٥٦٣.

(٤) سبق تخريجه .

منه كالحر، والبرد، والجوع، والعطش، لكن أن يضره بما يبلغ مراده منه فلا.

ولو توكل على الله حق توكله (وكادته السماوات والأرض بمن فيهن فإن الله يجعل له من ذلك مخرجاً) ^(١).

فالله - عز وجل - يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (سورة الطلاق: ٣) وكافيه من كل شيء فيه شر.

التوكل على الله يحمي المسلم من المصائب قبل وقوعها بإذن الله: حتى يدفع العبد الأذى عن نفسه لابد من توكله على الله حق التوكل يقول تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (سورة المائدة: ١١)، يذكر الله المسلمين بنعمه فقد كان المشركون في أول الأمر هم الغالبيين والمسلمون كانوا مقهورين مغلوبين و كان المشركون أبداً يريدون إيقاع البلاء والقتل والنهب بالمسلمين والله تعالى كان يمنعهم عن مطلوبهم إلى أن قوي الإسلام وعظمت شوكة المسلمين فقال تعالى: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ﴾ وهم المشركون ﴿أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل والنهب والنفي فكف الله تعالى بلطفه ورحمته أيدي الكفار عنكم أيها المسلمون ومثل هذا الإنعام

(١) أخرج هذا الأثر الإمام أحمد في كتابه: الزهد، عن وهب بن منبه: ٦٩.

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

العظيم يوجب عليكم أن تتقوا معاصيه ومخالفته وأن تشكروه عليها بالوفاء له بميثاقه ، ثم قال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ : أي كونوا مواظبين على طاعة الله تعالى ولا تخافوا أحداً في إقامة طاعات الله تعالى بل توكلوا على الله تعالى^(١).

يقول جابر بن عبد الله: (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بذات الرِّقَاعِ فإذا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَسَيْفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَلَّقٌ بِالشَّجَرَةِ فَاخْتَرَطَهُ فَقَالَ تَخَافُنِي قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي قَالَ: اللَّهُ، ثَلَاثًا فَشَامَ^(٢) السَّيْفَ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ^(٣)).

فمن توكل على الله حماه من المصائب و دفع عنه البلاء المتوقع مهما عظم يقول تعالى : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣) فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهْمُ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿ (سورة آل عمران،: ١٧٣ - ١٧٤).

لقد انتصر المسلمون في غزوة بدر مع قلة العدد والعتاد مقارنة

(١) انظر: جامع البيان/ الطبري ١٤٣/٦، و التفسير الكبير/ الرازي: ١١/ ١٤٤.

(٢) (فشام سيفه في حديث الأعرابي معناه: أغمدته هنا) مشارق الأنوار/ للقاضي أبي

الفضل عياض: ٢/ ٢٦١.

(٣) أخرجه: البخاري ٣/ ١٠٦٥، ١٠٦٦، ٤/ ١٥١٥، و مسلم ٤/ ١٧٨٦.

بالمشركين وكان ذلك بسبب توكلهم على الحي القيوم.
 يقول ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دَارِهِمْ لِيَمْسِسَهُمُ السَّوْءُ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة آل عمران: ١٧٤) أي: لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم ورد عنهم بأس من أراد كيدهم فرجعوا إلى بلدهم بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء مما أضمر لهم عدوهم واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم^(١).

وقد دفع الله - عز وجل - عن مؤمن آل فرعون الأذى لتوكله على فاطر السموات والأرض فقد قال مؤمن آل فرعون عندما هدده فرعون وقومه: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٤٤) فوقله الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب (غافر: ٤٤ - ٤٥).

فنجاه الله عز وجل وحاق وأحاط بآل فرعون العذاب فلا مفر لهم منه^(٢)، لأنه فوض الأمر وصيره إلى الله وجعله الحاكم فيه^(٣)، يقول الإمام الطبري: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٤٤) فوقله

(١) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير: ٤٣٢/١.

(٢) انظر مختار الصحاح/ الرازي: ٦٩.

(٣) انظر لسان العرب/ ابن منظور: ٢١٠/٧.

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَّرُوا وَحَاقَ بِنَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿سورة غافر: ٤٤ : ٤٥﴾، يقول تعالى ذكره مخبراً عن المؤمن من آل فرعون عندما قال لفرعون وقومه فستذكرون أيها القوم إذا عايتم عقاب الله قد حل بكم ولقيتم ما لقيتموه صدق ما أقول وحقيقة ما أخبركم به من أن المسرفين هم أصحاب النار... وقوله: ﴿وَأَفِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾، يقول: وأسلم أمري إلى الله وأجعله إليه وأتوكل عليه فإنه الكافي لمن توكل عليه... وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ يقول: إن الله عالم بأمور عباده ومن المطيع منهم والعاصي له والمستحق جميل الثواب والمستوجب سيئ العقاب وقوله: ﴿فَوَقَّهٗ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَّرُوا﴾ يقول تعالى ذكره: فدفع الله عن هذا المؤمن من آل فرعون بإيمانه وتصديق رسوله موسى مكروه ما كان فرعون ينال به أهل الخلاف عليه من العذاب والبلاء فنجاه منه^(١).

وكذلك نجا الله موسى وقومه لتوكلهم على الله من جبروت فرعون وقومه يقول تعالى عنهم: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامِنُ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة يونس: ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦).

وقال تعالى مخبراً عن كيفية نجاتهم وغرق عدوهم: ﴿وَإِذْ

(١) جامع البيان / الطبري: ٧٠/٢٤.

فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ [سورة البقرة: ٥٠].

فالتوكل كما أنه سبب لدفع الأذى عن النفس كذلك هو سبب لدفع الفقر وجلب الرزق، فلو توكل العبد على ربه توكلأً حقيقياً، جامعاً لعلم القلب وعمله، وعمل بالجوارح، فإن الله يرزقه من حيث لا يحتسب، قال تعالى عن مريم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ (سورة آل عمران: ٣٧)، والمؤمن الحق يثق ويعتمد بقلبه على الله، ويوقن أن الرزق بيده، قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (سورة الذاريات: ٢٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (سورة هود، آية: ٦)، وقال: أبو هريرة - رضي الله عنه - : عن إحدى بنات الحارث بن عامر^(١) إنها قالت: (والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب^(٢))، قالت: والله

(١) الحارث بن عامر بن نوفل هو من بني نوفل بن عبد مناف وكان من المطعمين من قريش، انظر: السيرة النبوية: ٣ / ٢١٧

(٢) خبيب بن عدي الأنصاري شهد بدرًا وأسر يوم الرجيع في السرية التي خرج فيها في سبعة نفر فقتلوا وذلك في سنة ثلاث وأسر خبيب وزيد بن الدثنة وانطلق المشركون بهما إلى مكة فباعوهما على كفار قريش فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال دعوني أصلي ركعتين ثم قال لولا أن يروا أن ما بي من جزع من الموت لزدت قال فكان أول من صلى ركعتين عند القتل هو ثم قال اللهم احصهم عدداً

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

لقد وجدته يوماً يأكل قطعاً من عنب في يده، وإنه لموثق في الحديد، وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خيباً^(١)، فانظر كيف تكون عاقبة التوكل، ولو توكل العبد على ربه حق التوكل لدفع عنه الفقر وكل بلية قال صلى الله عليه وسلم: (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً)^(٢)، لكن ذكر هنا - صلى الله عليه وسلم - أنها تسعى وتروح في طلب الرزق^(٣). فلا يتوكل ويقول يأتيني رزقي فلا بد من الحركة وإلا أصبح متواكلاً.

فالله عز وجل مع ضمانه لرزق الخلق أمر بالسعي إليه، قال تعالى: ﴿فَأْمْسُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (سورة الملك،: ١٥).

يقول تعالى مبيناً أن أخذ الأسباب يكون مع التوكل: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِّنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمُهُمْ﴾ (سورة النحل،: ١٧).

واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله . انظر:

الاستيعاب / ابن عبد البر: ٢ / ٤٤٠-٤٤٢.

(١) أخرجه أحمد بلفظه: ٦٤/١٥ ، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، هذا الكلام مدرج وقد ثبت وصله.

(٢) أخرجه الترمذي: ٨/٧، وأحمد: ٥٢٣/١ ، وقال الألباني في صحيح ابن ماجه ٢/ ٤٠٤: (صحيح).

(٣) انظر مصابيح السنة/ البغوي: ١/ ١٣٠، وفتح المنعم: ٦٠٨.

لَهُمْ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ (سورة آل عمران: ١٥٩).

معالجة المسلم من المصائب بعد وقوعها بالتوكل:

إن الله عز وجل ينجي المتوكل عليه من كل بلية محيطة ومنية محدقة به قال وهب بن منبه: (لو توكل على الله حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن فإن الله يجعل له من ذلك مخرجاً) ^(١).

وقد نجى الله إبراهيم - عليه السلام - من الاحتراق بالنار فقد جعلها الله تعالى برداً وسلاماً عليه لتوكله على الله ، قال تعالى: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (سورة الأنبياء، آية: ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠).

و(لقد أتى جبريل عندما كان إبراهيم عليه السلام بين المنجنيق والنار فقال السلام عليك يا إبراهيم أنا جبريل ألك حاجة قال أما إليك فلا حاجتي إلى الله ربي حسبي الله قال الله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ^(٢)، وعن علي في قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ قال: (لو لا أنه قال وسلاماً لقتله

(١) أخرجه: أحمد في الزهد: ٦٩.

(٢) أورده الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول ٢/٢٧٥-٢٧٦، والأصبهاني في حلية الأولياء ج ١/ص ٢٠.

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق
بردها^(١).

ويقول الشوكاني^(٢) مفسراً الآية السابقة: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ أي: قال بعضهم لبعض لما أعتتهم الحيلة في دفع إبراهيم وعجزوا عن مجادلته وضافت عليهم مسالك المناظرة حرقوا إبراهيم انصرافاً منهم إلى طريق الظلم والغشم وميلاً منهم إلى إظهار الغلبة بأي وجه كان وعلى أي أمر اتفق ولهذا قالوا وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ... للنصر ... فأضرموا النار وذهبوا بإبراهيم إليها فعند ذلك قال الله: ﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ ذات برد وسلام ... ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ أي: مكراً، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ﴾ أي: أخسر من كل خاسر ورددنا مكربهم عليهم فجعلنا لهم عاقبة السوء كما جعلنا لإبراهيم عاقبة الخير^(٣). لذا على المسلم أن يتوكل على الله حق توكله ويحسن الظن به لأنه أهل لذلك ويرجو ما عند الله من الخير مهما ضاقت به الدنيا وتكالبت عليه المصائب وانسدت في وجهه الأبواب.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: ٦: ٣٣٠، وأورده الهندي في الكنز: رقم ٤٥١٥.
(٢) هو: علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن له ١١٤ مؤلفاً منها: نيل الأوطار، وفتح القدير، وإرشاد الفحول، والتحف في مذهب السلف، ت: ١٢٥٠ هـ. انظر: الأعلام/الزركلي ٦/ ٢٩٨.
(٣) فتح القدير/الشوكاني: ٣/ ٤١٥.

يقول الشاعر:

وإذا الأمور تعقدت وتصعبت جاء القضاء من الكريم فحلها
قال الشافعي^(١):

صبراً جميلاً ما أقرب الفرجا من راقب الله في الأمور نجاً
من صدق الله لم ينله أذى ومن رجاه يكون حيث رجا^(٢)
وقال أبو حاتم السجستاني^(٣):

إذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق لما به الصدر الرhib
وأوطأت المكاره واطمأنت وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهها ولا أغنى بحيلته الأريب

(١) الإمام محمد بن إدريس الشافعي القرشي، عالم جليل، وناصر الحديث، وفقه الملة، ت: ٢٠٤هـ انظر مناقب الشافعي / لأبي بكر بن الحسين البيهقي، ط ١/، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، دار التراث.

(٢) ديوان الإمام الشافعي ٣٠٠.

(٣) أبو حاتم السجستاني الإمام العلامة سهل بن محمد بن عثمان السجستاني المقرئ النحوي اللغوي صاحب التصانيف، حدث عنه أبو داود والنسائي في كتابيهما وأبو بكر البزار في مسنده ومحمد بن هارون الروياني وابن صاعد وأبو بكر بن دريد وأبو روق الهزاني وعدد كثير، وتخرج به أئمة منهم أبو العباس المبرد وكان جماعة للكتب يتجر فيها وله في اللغات والشعر والعروض، وله كتاب إعراب القرآن وكتاب ما يلحن فيه العامة وكتاب المقصور والممدود وكتاب القطاع والمبادئ وكتاب القراءات وكتاب الفصاحة وكتاب الوحوش وكتاب اختلاف المصاحف وغير ذلك، ت: ٥٥٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء / الذهبي: ١٢ / ٢٦٨ - ٢٧٠

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

أتاك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت فموصول بها الفرج القريب
ويقول آخر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج
ضاق فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج^(١)
ويقول غيره:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب^(٢)
فالمسلم العابد يجعل الرجاء بدل الخوف والرجاء بدل التمني لأن
التمني يكون في الشيء المستحيل أما الرجاء يكون في الشيء
الممكن كما قال الشاعر:

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب^(٣).
وليت تكون للتمني أما عسى فهي للرجاء^(٤).

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير : ٤ / ٥٢٦ - ٥٢٧ البيت لعلي بن أبي طالب رضي
الله عنه. انظر: تاريخ مدينة دمشق / لأبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة
الله: ٤٢ / ٥٢٤ - ٥٢٣.

(٢) البيت هدية خشرم العذري انظر شرح ابن عقيل: ٣٢٧-٣٢٨، وقد ذكره أبو علي
القيالي في أماليه وأبو السعادات الشجري في الحماسة، وكذلك الزركلي في
الأعلام: ٧٨/٨.

(٣) لأبي العتاهية: انظر ديوانه: ٥٠ شرح مجيد طراد.

(٤) انظر شرح ابن عقيل: ٣٤٦/١.

المبحث الثاني: الأذكار تحمي من المصائب قبل وقوعها وتدفعها بعد وقوعها بإذن الله.

الأذكار، والأدعية، والاستعاذة والحوقة. من أسباب دفع المصائب قبل وقوعها ورفعها بعد وقوعها فهي وقاية وحماية وعلاج بإذن الله والأذكار تشمل القرآن الذي هو أعلاها وأفضلها والدعاء يدخل ضمن الأذكار عموماً وهذه الأسباب على التفصيل.

السبب الأول: الأذكار :

المشروع للمسلم كثرة الذكر وأن يكون لسانه دائماً رطباً بذكر الله تعالى وقد جاء في السنة الشريفة كثير من الأذكار والحث عليه وتخصيص بعض أنواعه بالفضل.

ومن الآيات الحاثّة على الذكر وبيان فضله:

قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (سورة البقرة: ١٥٢).

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (سورة الأعراف: ٢٠٥).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (سورة الأحزاب: ٤١).

وقوله تعالى: ﴿وَالذِّكْرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذِّكْرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة الأحزاب: ٣٥).

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

وقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم الذكر بالروح فكأن المنصرف عنه ميت ، قال صلى الله عليه وسلم: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»^(١).

بعض أنواع الذكر التي تحمي من المصائب قبل وقوعها:
من الأذكار التي تقال في الصباح وتدفع المصائب من الهم وغيره عن المسلم: قوله صلى الله عليه وسلم: «من قال إذا أصبح وإذا أمسى حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله ما أهمه في الدنيا والآخرة»^(٢)، ومن الأدعية التي تدفع عنه المصائب عموماً أيضاً أن يقول: "اللهم أحسن عاقبتي في الأمور كلها وأجرني من خزي الدنيا وعذاب الآخرة" ، قال صلى الله عليه وسلم: «من كان ذلك دعاءه مات قبل أن يصيبه بلاء»^(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: «سبحان الله وبحمده لا قوة إلا بالله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً فإنه من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسي ومن قالهن حين يمسي حفظ حتى

(١) أخرجه البخاري: ٣٥٣/٥.

(٢) أخرجه أبو داود : ٣٢١/٤ ، وابن السني في عمل اليوم والليلة: رقم ٧٠ ، وأورده ابن القيم/زاد المعاد ٣٧٦/٤ ، وصححه الأرناؤوط في حاشية الزاد.

(٣) سبق تخريجه .

يصبح»^(١).

ومن الأذكار الدافعة للمصائب عموماً:

قوله صلى الله عليه وسلم: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، فمن قالها صباحاً لا يفجأه فاجئة بلاء حتى الليل، ومن قالها حين يمسي لم يفجأه فاجئة بلاء حتى يصبح إن شاء الله»^(٢).

والمعنى: "باسم الله الذي لا يضر مع اسمه" أي مع ذكره باعتقاد حسن ونية خالصة "ولا في السماء" أي من البلاء النازل منها^(٣)، ومما يدفع البلاء والمصائب من الأمراض أو تسلط الشياطين أو الحريق أو غيره من الأدواء: الأدعية والأذكار^(٤) التي تقال في

(١) أخرجه أبو داود: ٣/٣١٩، والنسائي في الكبرى: ٥٦/٦، وقال المزني في تهذيب الكمال: ٤٦١/١٦: "أخرجاه في حديث ابن وهب فوق لنا بدلاً عالياً".

(٢) أخرجه أبوداود: ٤/٣٢٣، والنسائي في الكبرى: ٧/٦، والترمذي: ٥/٤٦٥، وقال: (حسن صحيح غريب) وابن حبان: ٣/١٣٢، وقال شعيب الأرناؤوط: (إسناده صحيح) وقال الألباني في الجامع الصغير (صحيح) ٦٤٢٦.

(٣) تحفة الأحوذى/المباركفوري: ٩/٢٣٤.

(٤) انظر تحفة الذاكرين/الإمام النووي، وعمل اليوم والليلة/ابن السني، والكلم الطيب/شيخ الإسلام ابن تيمية، والوابل الصيب/الإمام ابن القيم، وحصن المسلم/الشيخ سعيد القحطاني، وزاد المسلم/الشيخ الجار الله.

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

الصباح والمساء وعند الخروج من المنزل^(١) والدخول إليه^(٢)، وعند الدخول إلى الخلاء^(٣) وعند الخروج^(٤) وعند النوم^(٥)، وعند الطعام والشراب^(٦)، والفراغ منه^(٧)، وعند لبس الثوب^(٨)، ونزعه^(٩) وعند إتيان الأهل^(١٠)، وعند ركوب الدابة^(١١)، وعند السفر والرجوع

(١) سيأتي تفصيله وتخريجه عند ذكر فضل الذكر في دفع الشيطان.

(٢) أخرج دعاء الدخول إلى المنزل مسلم: ١٥٩٨/٣، وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أنساً رضي الله عنه أن يسلم على أهله بقوله: "يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك"، أخرجه الترمذي: ٥٩/٥، وقال: (حسن صحيح) وقال الألباني في الكلم الطيب ٥٠: (وهو كما قال، فإن له طرقاً كثيرة يتقوى الحديث بها).

(٣) أخرجه البخاري: ٦٦/١.

(٤) أخرجه ابن خزيمة: ٤٨/١، وابن حبان: ٢٩١/٤، وقال شعيب الأرناؤوط: (إسناده حسن).

(٥) أخرجه البخاري: ٩٧/١، ومسلم: ٢٠٨١/٤.

(٦) أخرجه أبو داود: ٣٤٧/٣، والترمذي: ٢٨٨/٤.

(٧) أخرجه أبو داود: ٣٣٩/٣، والنسائي: ٧٩/٦، والترمذي: ٥٠٦/٥، وابن ماجه: ١١٠٣/٢، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه: ١١٠٣/٢.

(٨) أخرجه أبو داود: ٤٢/٤، والدارمي: ٣٧٨/٣، والحاكم: ٦٨٧/١.

(٩) أخرجه الترمذي: ٥٠٥/٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٢٠٣/٣.

(١٠) أخرجه البخاري: ٦٥/١.

(١١) أخرجه أبو داود: ٣٤/٣، والترمذي: ٥٠١/٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي: ١٥٦/٣.

منه^(١)، وعند الخوف من تسلط الأعداء^(٢). وهذه الأدعية والأذكار جمعها بعض أهل العلم الأفاضل في مؤلفات^(٣) والحري بالمسلم حفظها والمداومة عليها في مواضعها والتزامها، فانظر إلى لطف الله ورحمته بخلقه وحفظه لهم فقد جعل لكل حال من أحوال المسلم دعاء حتى يحفظ به - بإذن الله - والمسلم يستحب له الإكثار من الذكر عموماً لفضله، وأن يتفطن للأذكار المرتبطة بالأزمان والأماكن فيقولها. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (سورة الأحزاب: ٤١ - ٤٢).

• من أنواع الأذكار التي تقال لتحمي المسلم من الشيطان الذي هو سبب كل بلاء ومصيبة :

ورد في الشريعة ما يدفع تسلط الشيطان على المسلم ويحفظه منه وهذه الأذكار تقال في أزمدة مخصوصة أو أماكن مخصوصة حتى تمنع تسلطه على العبد سواء بإغوائه والتلبس عليه أو تلبسه

(١) أخرجه مسلم : ٩٧٨/٢.

(٢) أخرجه الترمذي : ٥ / ٥٣٨، والطبراني في الكبير : ٤ / ١١٥، والبخاري في الأدب المفرد : ٢٤٧ وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد رقم ٥٤٥.

(٣) مثل كتاب شأن الدعاء للخطابي، وأذكار اليوم والليلة لابن السني، والأذكار للنووي، والكلم الطيب لابن تيمية، والوابل الصيب لابن القيم، وحصن المسلم للقططاني، والأذكار للجار الله وغيرها من كتب الأذكار والأدعية.

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

وصرعه ومن هذه الأدعية التي تدفع تسلط الشيطان على المسلم وتكفيه شر الشيطان وشر غيره أن يقول أدعية الخروج من المنزل والتي منها قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له قد كفيت وهديت ووقيت، فيلقى الشيطان شيطاناً آخر فيقول له: كيف لك برجل قد كفى وهدي ووُقي»^(١)، ويقول حين الدخول إلى المسجد: (أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ... فإذا قال ذلك، قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم)^(٢). وهناك ذكر يقال في الصباح والمساء للحفظ من الشيطان مع زيادة المثوبة والأجر لقائله وغفران ذنوبه هو ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير من قالهن مائة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به

(١) أخرجه الترمذي: ٤٩١/٥، وقال: (حسن صحيح غريب)، وابن ماجه: ١٢٧٨/٢، وابن حبان: ١٠٤/٣، وقال الألباني في صحيح الجامع: ٤٥٥٢: صحيح، وقال شعيب الأرناؤوط: (رجاله ثقات إلا أن ابن جريج مدلس).

(٢) أخرجه أبو داود: ١٢٧/١، والحاكم ١٢٧/١، وقال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ٢٤٧/٢: (إسناده جيد)، وقال الألباني في الصحيحة: ٢٦٦١: "صحيح".

إلا أحد عمل عملاً أكثر من ذلك»^(١). وفي رواية: «ومن قال مثل ذلك حين يمسي كان له مثل ذلك»^(٢).

هل لابد للمسلم أن يقول لا إله إلا الله متتابعة متوالية لا يفصل بينها بكلام؟

يقول النووي: (إطلاقه يقتضي حصول هذا الأمر سواء قالها متوالية أو متفرقة لكن الأفضل أن يأتي بها متوالية في أول النهار فتكون حرزاً له في جميع نهاره)^(٣). ويقول ابن حجر موافقاً للنووي بأن الأفضل أن تكون متوالية: (لكن الأفضل أن يأتي به أول النهار متوالياً ليكون له حرزاً في جميع نهاره وكذا في أول الليل ليكون له حرزاً في جميع ليله)^(٤).

قصة: لقد ذكر أحد القراء أنه أثناء رقيته لإحدى المريضات أنه قال للجني: اخرج فقال الجني: لن أخرج. قلت: إذا أحرقك بالقرآن - بحول الله وقوته - ثم قرأت عليها آيات فصرخ. فقلت: أخرج؟ قال: نعم، أخرج ولكن بشرط. قلت: وما هو الشرط؟ قال: أخرج منها

(١) أخرجه البخاري: ١١٩٨/٣، ومسلم: ٢٠٧١/٤.

(٢) أخرجه أحمد: ٢٢٧/٤ والطبراني في الكبير: ١٢٧/٤، وقال المنذري في الترهيب: ٢٥٩/١ (رواه الطبراني بنحو أحمد، وإسنادهما جيد).

(٣) الديباج على صحيح مسلم/ السيوطي: ٥٤/٦.

(٤) فتح الباري/ ابن حجر: ٢٠٦/١١.

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

وأدخل فيك أنت. قلت: لا بأس اخرج منها وادخل فيّ إن استطعت فانتظر قليلاً ثم بكى. فقلت: ما يبكيك؟ قال: لا يستطيع أي جني أن يدخل فيك اليوم! قلت ولم؟ قال: لأنك قلت: اليوم في الصباح [لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير] ١٠٠ مرة. قلت: صدق رسول الله القائل: «من قال في يوم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.. كانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي»^(١)... قلت: إذاً اخرج منها، فعاهد وخرج والفضل لله وحده^(٢). فشهادة التوحيد حرز للمسلم من الشيطان. والحرز الموضع الحصين يقال هذا حرز حريز ويسمى التعويذ حرزاً واحترز في كذا وتحرز منه أي توقاه^(٣). يقول ابن الأثير: (أحرزت الشيء أحرزه إحرازاً إذا حفظته)^(٤). فشهادة التوحيد لها فضل عظيم في الدنيا والآخرة فهي حرز للمسلم في دينه ودنياه فهي مما يدفع المصائب عن المسلم لأنها حرز حصين.

(١) سبق تخريجه ص ١١٧.

(٢) الصارم البتار/ وحيد بالي: ١٣٦-١٣٧، ط الثالثة، ١٤١٢هـ، مكتبة الصحابة، جدة.

(٣) انظر: مختار الصحاح/ الرازي: ٥٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث/ ابن الأثير: ٣٦٦/١.

الذكر يرفع المصائب بعد وقوعها :

الذكر يرفع المصائب و البلاء فهو يعد من أنواع الأدوية التي يعالج بها ومن الأذكار التي تكون سبباً للعلاج من المصائب وتفريج الكرب والهموم والأدواء شهادة التوحيد فهي ترفع البلاء ويظهر ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: «من قال لا إله إلا الله نفعت يوماً من دهره أصابه قبل ذلك ما أصابه»^(١)، وفي رواية: «إلا نفعت يوماً من دهره ولو بعد ما يصيبه العذاب»^(٢). فهي بإذن الله ترفع المصائب بعد أن تقع، وورد عنه أيضاً قوله ﷺ: «ما قال عبد قط أصابه هم أو حزن اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط: ٢٧٤/٦، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧/١: (رواه البزار والطبراني في الأوسط والصغير ورجاله رجال الصحيح عن عمر رضي الله عنه)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٢٦٧/٢، (رواه البزار والطبراني ورواته رواة الصحيح). وقال السيوطي في إتمام الدراية لقراء النقاية ١٧/١: (ورواه البزار والطبراني ... وإسناده صحيح) وأورده البيهقي في شعب الإيمان: ١٠٩/١ (بإسناد صحيح).

(٢) أخرجه الطبراني في الصغير: ٢٤١/١، و الأوسط ١٢/٤ وقال: (لم يروه عن موسى الصغير إلا حفص الغاضري تفرد به الحسين بن علي الصدائي عن أبيه)، وقال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير: ٤٣٣/٢: (إسناده حسن).

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحاً»^(١)، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: إذا نزل بأحد منكم كرب أو غم أو سقم أو هم أو لأواء فليقل: الله، الله ربي لا أشرك به شيئاً ثلاث مرات»^(٢)، وفي رواية: (كان صلى الله عليه وسلم إذا أراعه شيء قال: الله، الله ربي لا أشرك به شيئاً)^(٣)،

(١) أخرجه أحمد: ٣٩١/١، والحاكم: ٦٩٠/١، وابن حبان: ٢٥٣/٣، وقال شعيب الأرناؤوط: (إسناده صحيح).

(٢) أخرجه النسائي: ١٦٦/٦، والطبراني في الأوسط ١٧٧/٦، ٢٢٦/٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٧/١٠ (رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه صالح بن عبدالله أبو يحيى وهو ضعيف)، وأورده البغدادى في تاريخه: ٤٥٦/٥، والخرائطي في مكارم الأخلاق، وأخرجه أبو داود: ٨٧/٢ بلفظ: (أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأسماء بنت عميس: "ألا أعلمك كلمات تقولينها عند الكرب أو في الكرب، الله، الله ربي لا أشرك به شيئاً) قال الألباني في سنن أبي داود (صحيح) ١٥٢٥.

(٣) أخرجه النسائي: ١٦٨/٦، وعند الطبراني في الأوسط بلفظ: ١٧٠/١٢ "إذا نزل بكم كرب أو هم أو جهد أو لأواء فقولوا: الله، الله ربنا لا شريك له"، وقال المزي في تهذيب الكمال: ٢٠٩/١٢ (من حديث النسائي ... رواه في اليوم واللييلة عن دحيم فوافقناه فيه بعلو). وفي رواية: (إذا نزل بأحد منكم كرب أو غم أو سقم أو هم أو لأواء فليقل: الله، الله ربي لا أشرك به شيئاً ثلاث مرات)، وأورده الهندي في الكنز رقم ٣٤١٥، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: صحيح

فلا يكون دفع الأذى بالغيبة لمن وقع منه الأذى ، أو التسخط من أقدار الله وشكاية الخالق للمخلوق ، ومن الأدعية التي تدفع البلاء بعد نزوله، دعوة ذي النون لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين قال صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بشي إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من بلايا الدنيا دعا به يفرج عنه فقيل بلى فقال: دعاء ذي النون لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»^(١). وقال صلى الله عليه وسلم: «دعوة ذي النون التي دعا بها في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدع بها مسلم في كربة إلا استجاب الله له»^(٢). قال كعب^(٣) رضي الله عنه: (إنها كانت ظلمات ثلاث، ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن

(الصحيحه) ٢٠٧٠.

(١) أخرجه الترمذي: ٥٢٩/٥، والنسائي في الكبرى: ١٦٨/٦، وأحمد: ١٧٥/١، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: صحيح (الصحيحه) ١٧٤٤، وفي رواية: (لم يدع بها مسلم في شيء إلا استجاب الله له) أخرجه الحاكم: ٦٨٤/١، وقال: (صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

(٢) أخرجه الحاكم: ٦٣٧/٢، وقال (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) وتابعه الذهبي.

(٣) كعب الأحبار هو كعب بن ماتع الحميري مات في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين قبل مقتل عثمان رضي الله عنهما بعام. انظر: تاريخ ابن معين (رواية الدوري): ٣ /

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

الحوث)^(١). وجاء في بعض الروايات أنه اسم الله الأعظم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل أدلكم على اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى، الدعوة التي دعا بها يونس حيث ناداه في الظلمات الثلاث لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»^(٢) يقول الطبري: (وقوله لا إله إلا أنت سبحانك يقول نادى يونس بهذا القول معترفاً بذنبه تائباً من خطيئته إني كنت من الظالمين في معصيتي إياك)^(٣).

السبب الثاني القرآن :

القرآن من أعظم دفع المصائب ورفعها وقد خص الله سبحانه بعض السور بالفضل ومنها:

أولاً : سورة الفاتحة : فأعظم ما يحمي من المصائب ويرفعها كلام الله تعالى، ومما ورد في السنة من تخصيص لبعض السور والآيات مما يحمي من المصائب من القرآن:

(١) أخرجه الحاكم : ٦٣٧/٢ و٤١٥/٢، وقال: (صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) والطبري في تفسيره: ٨٠/١٧.

(٢) أخرجه الحاكم: ٦٨٣/١، و٦٨٥/١، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه).

(٣) جامع البيان/ الطبري: ٨١/١٧.

رفع سورة الفاتحة للمسلم للمصائب بعد وقوعها:

فهي أعظم سورة في القرآن وهي أم الكتاب والشافية جعلها الله تقرأ في كل ركعة من ركعات الصلاة ، وهي رقية لرفع المصائب بعد وقوعها كما ورد في صحيح البخاري عندما رقى بها أحد الصحابة لديغاً فشفي فقال له صلى الله عليه وسلم: (وما أدراك أنها رقية)^(١). فهي رقية من الأمراض العضوية وغيرها، وكذلك هي شفاء من الجنون بإذن الله فقد مر أحد الصحابة بقوم فأتوه فقالوا إنك جئت من عند هذا الرجل بخير فارق لنا هذا الرجل فأتوه برجل معتوه في القيود فرقاه بأمر القرآن ثلاثة أيام غدوة وعشية كلما ختمها جمع بزاقه ثم تفل فكأنما أنشط من عقل فأعطوه شيئاً فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكره له فقال له: (كل لعمرى لئن أكل برقية باطل لقد أكلت برقية حق)^(٢). وفي رواية (رجل مجنون موثق بالحديد)^(٣).

(١) أخرجه البخاري: ٧٩٥/٢، وقال ابن حجر في الفتح: ٢١٦٦/٥: (لم يذكر في هذا الطريق عدد تكرار الفاتحة لكنه بينه في رواية الأعمش وأنه سبع مرات، ووقع في حديث جابر ثلاث مرات).

(٢) أخرجه أبو داود: ٢٦٦/٣، والحاكم: ٧٤٧/١ وقال: (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (صحيح) ٣٤٢٠.

(٣) أخرجه أبو داود: ١٣/٤ والطبراني في الكبير: ١٩٠/١٧، وقال العجلوني في كشف الخفاء: ٣١/٦ (صححه البيهقي).

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

ووقت الرقية وصفقتها مبينة في هذا الحديث. ومعنى (غدوة وعشية أي أول النهار وآخره أو نهائراً وليلاً وكلما ختمها أي أم القرآن جمع بزاقه بضم الموحدة : ماء الفم)^(١).
ثانياً: سورة البقرة :

سورة البقرة لها فضل بإذن الله في دفع المصائب ورفعها.
حماية سورة البقرة للمسلم من المصائب قبل وقوعها:
في سورة البقرة بإذن الله حفظ للبدن من الأمراض والتي قد تكون بسبب تسلط الشيطان على الإنسان فهي بإذن الله :
١ - تحفظ البيت من الشيطان بإذن الله :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة)^(٢). في هذا الحديث لفظ (تقرأ) وهذا يدل على أنه إذا استخدم آلة التسجيل في ذلك حصل له تحصين البيت من الشيطان ،أو قرأها بنفسه كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (إن لكل شيء سناماً وإن سنام القرآن البقرة وإن من قرأها في بيته ليلة لم يدخله الشيطان ثلاث ليال ومن قرأها في بيته نهائراً لم يدخله شيطان ثلاثة أيام)^(٣)، وقال رسول الله

(١) عون المعبود/الطيب آبادي: ٢٠٨/٩.

(٢) أخرجه مسلم: ٥٣٩ / ١.

(٣) أخرجه أحمد: ٢٨٤/٢ ، والحاكم بنحوه: ٦٢/١ ، وقال: (صحيح) وتابعه الذهبي،

صلى الله عليه وسلم: «من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح أربعاً من أولها وآية الكرسي وآيتين بعدها وثلاثاً خواتمها أولها ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾»^(١).

٢- تحفظ القرآن والعلوم من الضياع بإذن الله :

إن في المداومة على تلاوتها ليلاً حرزاً لما حفظه المسلم من القرآن والعلوم من الضياع قال - صلى الله عليه وسلم - : «من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة أربعاً من أولها وآية الكرسي وآيتين بعدها وثلاثاً خواتمها أولها ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لم ينس القرآن»^(٢) وفي رواية: «لم ينس ما قد حفظ»^(٣).

٣- تحفظ النفس والأهل من الشيطان وأمان مما يكره:

لقد (أخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن «من قرأ عشر

وابن حبان: ٦١/٣، والنسائي في الكبرى: ٢٤٠/٦ وقال شعيب الأرناؤوط:

(إسناده صحيح) ، وفي رواية (والشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه)، أخرجه ابن

حبان: ٦٢/٣، والدارمي ٥٦٤/٢، وقال شعيب الأرناؤوط (إسناده صحيح) .

(١) أخرجه الدارمي: ٥٤١/٢، و قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١١٨/١٠: (رواه

الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن الشعبي لم يسمع من ابن مسعود).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

آيات من سورة البقرة أربعاً من أولها وآية الكرسي وآيتين بعدها وثلاثاً خواتمها أولها ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه ولا يقرآن على مجنون إلا أفاق^(١)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه»^(٢)، ومعنى (كفتاه أي أجزأتا عنه من قيام الليل بالقرآن وقيل أجزأتا عنه عن قراءة القرآن مطلقاً سواء كان داخل الصلاة أم خارجها وقيل كفتاه شر الشيطان وقيل دفعتا عنه شر الإنس والجن وقيل معناه كفتاه ما حصل له بسببهما من الثواب عن طلب شيء آخر ...) قال النووي (كفتاه عن قراءة سورة الكهف وآية الكرسي) وقيل معناه كفتاه من قيام الليل وقيل من الشيطان وقيل الآفات ويحتمل من الجميع^(٣).

معالجة سورة البقرة المسلم من المصائب بإذن الله:

لقد أخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن «من قرأ عشر آيات من سورة البقرة أربعاً من أولها وآية الكرسي وآيتين بعدها وثلاثاً خواتمها أولها ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه ولا يقرآن على مجنون إلا أفاق»^(٤).

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري: ١٤٧٢/٤.

(٣) انظر: فتح الباري/ابن حجر: ٥٦/٩.

(٤) سبق تخريجه.

آية الكرسي:

ومما خص من سورة البقرة آية الكرسي: فإن لها فضلاً في الحفاظ من الشيطان وغيره.

فآية الكرسي أعظم آية في كتاب الله وقد حث النبي - صلى الله عليه وسلم - على قراءتها كل صباح ومساءً^(١) لما في ذلك من فضل على المسلم زيادة على حفظه من الشيطان الذي هو سبب للزيغ من الدين وسبب للأمراض العضوية والنفسية من الوسواس والشك وحفظ له كذلك من جميع ما يكره فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: وكلني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت والله لأرفعنك إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة قال فخليت عنه فأصبحت فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة» قال: قلت: يا رسول الله شكاً حاجة شديدة وعيلاً فرحمته فخليت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبك وسيعود» فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «(إنه سيعود)» فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) أخرجه النسائي في الكبرى : ١٣ / ٥ ، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب

٦١٠ : (صحيح).

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

وسلم - قال دعني فإنني محتاج وعلي عيال لا أعود فرحمته فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يا أبا هريرة ما فعل أسيرك »، قلت: يا رسول الله شكنا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال: «أما إنه كذبك وسيعود» فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا آخر ثلاث مرات تزعم لا تعود ثم تعود قال دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت: ما هي، قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «ما فعل أسيرك البارحة» قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال: ما هي؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم ﴿ اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ وقال لي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وكانوا أحرص شيء على الخير فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «أما إنه صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة» قال: لا، قال: «ذاك الشيطان»^(١)، وقال عبد الله بن مسعود: لقي رجل من

(١) أخرجه البخاري : ٨١٢/٢، وآية الكرسي لها فضل عظيم منه دخول الجنة إذا قرأها

أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رجلاً من الجن فصارعه
فصرعه الإنسي فقال له الإنسي إني لأراك ضئيلاً شخيتاً كأن
ذريعتك ذريعتي كلب فكذلك أنتم معشر الجن أم أنت من بينهم
كذلك قال لا والله إني منهم لضليع ولكن عاودني الثانية فإن
صرعتني علمتك شيئاً ينفعك قال نعم قال تقرأ (الله لا إله إلا هو
الحي القيوم) قال نعم قال فإنك لا تقرأها في بيت إلا خرج منه
الشیطان له خبج كخبج الحمار ثم لا يدخله حتى يصبح قال أبو
محمد: الضئيل: الدقيق، والشخيت: المهزول، والضليع: جيد
الأضلاع، والخبج: الريح^(١). وفي رواية: «فلا يقربك شیطان ولا
غيره»^(٢).

خواتيم سورة البقرة:

لقد سبق ذكر فضلها مع آية الكرسي في حفظ البيت والنفس
والأهل من الشيطان وقد خصها الرسول صلى الله عليه وسلم في
حديث فقال: (إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض

بعد كل صلاة، وأخرجه النسائي: ٣٠/٦، وقال الألباني في صحيح الترغيب
والترهيب (صحيح) ٦١٠، قال ابن القيم: (وهو حديث حسن بشواهده)، في الوابل:
١٤٣-١٤٤.

(١) أخرجه الدارمي: ٥٤٠/٢، وابن أبي الدنيا بإسناد حسن.

(٢) أخرجه الترمذي: ١٥٨/٥، وقال: (هذا حديث حسن غريب).

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

بأنفي عام أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربه شيطان^(١).

ثالثاً: المعوذتان وسورة الإخلاص :

حماية المعوذتين وسورة الإخلاص للمسلم من المصائب قبل وقوعها:

من قرأ هذه السور من المسلمين في مساء يومه وصباحه وعند نومه يوم الجمعة كفتاه من كل شيء وشر قال صلى الله عليه وسلم: (قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء)^(٢)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات^(٣)، وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: (من قرأ قل هو الله أحد والمعوذتين يوم الجمعة سبع مرات في مجلسه

(١) أخرجه الترمذي: ١٥٩/٥، وقال: (حسن غريب).

(٢) أخرجه أبو داود: ٣١٢/٤، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود ٥٠٨٢ (حسن

(٣) أخرجه البخاري: ١٩١٦/٤.

حفظ إلى مثلها^(١). وفي رواية عن حذيفة رضي الله عنه^(٢): «أعاده الله بها من السوء إلى الجمعة الأخرى»^(٣)، وهذا حفظ عام في البدن والدين وأما حفظ الدين بالذات والذي يعد البلاء والفتنة فيه من أشد البلاء وقد تعوذ من المصيبة في الدين نبينا محمد صلى الله

(١) أخرجه: ابن أبي شيبة في مصنفه: ٤٨٣/١، (وإسناده صحيح وله حكم الرفع)، انظر كيف تحمي نفسك من المصائب والسموم: ١٩، وأورده المناوي في فيض القدير: ٢٠٤/٦.

(٢) يكنى أبا عبد الله واليمان لقب وهو حذيفة بن حسل بن جابر حليف لبني عبد الأشهل من الأنصار، شهد حذيفة وأبوه حسل وأخوه صفوان أحدا، وقتل أباه يومئذ بعض المسلمين وهو يحسبه من المشركين وكان حذيفة من كبار أصحاب رسول الله وهو الذي بعثه رسول الله يوم الخندق ينظر إلى قريش فجاءه بخبر رحيلهم وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأله عن المنافقين وهو معروف في الصحابة بصاحب سر رسول الله وكان عمر ينظر إليه عند موت من مات منهم فإن لم يشهد جنازته حذيفة لم يشهدا عمر وكان حذيفة يقول خيرني رسول الله بين الهجرة والنصرة فاخترت النصره وشهد حذيفة نهاوند، فلما قتل النعمان بن مقرن أخذ الراية وكان فتح همذان والري على يد حذيفة وكانت فتوحه كلها سنة اثنتين وعشرين ومات حذيفة سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان في أول خلافة علي. انظر: الاستيعاب/ ابن عبد البر ج ١/ ص ٣٣٤-٣٣٥.

(٣) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة: ١٠٠، والسيوطي في الدر: ٦٧٥/٨، وأورده المناوي في فيض القدير: ٢٠٣/٦، وقال: (قال ابن حجر: ينبغي تقييده بما بعد الذكر المأثور في الصحيح)، وقال الألباني في ضعيف الجامع الصغير ٥٧٦٤ (ضعيف).

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

عليه وسلم فقد كان يَدْعُو في صلاته بهذا: «اللهم إني أَعُوذُ بِكَ من عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ من فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ وَأَعُوذُ بِكَ من فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ اللهم إني أَعُوذُ بِكَ من الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ فقال له قَائِلٌ: ما أَكْثَرَ ما تَسْتَعِيدُ من الْمَغْرَمِ فقال: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»^(١)، ومن الفتنة في الدين الفتنة في المسيح الدجال والذي يحفظ من الفتنة فيه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم -: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال»^(٢).

معالجة المعوذتين وسورة الإخلاص للمسلم من المصائب بعد وقوعها بإذن الله:

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها)^(٣).

السبب الثالث: الدعاء:

إن الدعاء من أعظم العبادات بل هو العبادة نفسها فقد قال صلى الله

(١) أخرجه البخاري ٢٨٦/١، و مسلم ٤١٢/١ .

(٢) أخرجه مسلم : ٥٥٥/١ .

(٣) أخرجه البخاري: ١٩١٦/٤ .

عليه وسلم: «الدعاء هو العبادة»^(١) إن معنى الحديث هو حمل العبادة على المعنى اللغوي إذ الدعاء هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له وما شرعت العبادات إلا للخضوع للباري وإظهار الافتقار إليه ولهذا ختم الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ (سورة غافر: ٦٠) حيث عبر عن عدم التذلل والخضوع بالاستكبار^(٢)، فالدعاء من أجل العبادات، التي ينبغي للمسلم أن يلتزم بها في الرخاء والشدة.

معنى الدعاء في اللغة:

- (١) النداء^(٣) (٢) الاستغاثة^(٤) (٣) الصياح بالشخص واستدعاؤه^(٥)
(٤) العبادة^(٦).

معنى الدعاء في الاصطلاح:

يقول ابن أبي العز: إن الدعاء (اسم لجميع العبادة والاستعانة)^(٧)،

(١) أخرجه أبو داود: ١٦١/٢، وأخرجه الترمذي ٢١١/٥، والحاكم: ١/٦٦٧ وقال:

(صحيح الإسناد) ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٦٤١/١.

(٢) انظر: فتح الباري/ابن حجر: ٩٥/١١.

(٣) انظر أساس البلاغة/الزمخشري: ١٣١.

(٤) انظر لسان العرب/ابن منظور: ٢٥٧/١٤.

(٥) انظر مختار الصحاح/الرازي: ٢٠٦.

(٦) انظر لسان العرب / ابن منظور: ٢٥٧/١٤.

(٧) شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز : ٥٣٩ .

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

ويقسم الدعاء إلى قسمين دعاء عبادة و دعاء مسألة^(١)، والدعاء فوائد عظيمة من جلب منافع للعبد، ودفع مضار محدقة به، وينال المسلم ما يطلبه بسرعة كلما زادت معرفة العبد بربه، وإقراره به ازداد إيمانه به، بأنه سميع مجيب، قريب قدير قادر، عليم، رحمن، رحيم، وأقر بفقره إليه، وأظهر اضطراره إليه وانكساره بين يديه وكلما زاد انكسار العبد بين يدي ربه كان أخرى بالإجابة على قدر انكساره .

لأن الدعاء عبادة يحبها الله عز وجل، قال تعالى: ﴿أَدْعُوْنِيْ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (سورة غافر: ٦٠).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِيْ عَنِّيْ فَإِنِّيْ قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (سورة البقرة: ١٨٦). وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له حتى ينفجر الصبح»^(٢).

إن ربنا العظيم الخالق الغني عنا المغني لنا يقول سبحانه مرغباً (هل من داع، هل من مستغفر ..) ترغيب من الله وتحجب لعبده ودعوة لنيل المغفرة والهبات العظيمة في هذا الوقت ، ومن ترك

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز: ٥٣٩.

(٢) أخرجه مسلم : ٥٢٢/١ .

الدعاء استكباراً عنه - سبحانه - استحق مقت الله وغضبه يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (سورة غافر: ٦٠)، وقال صلى الله عليه وسلم: «(إن من لم يسأل الله يغضب عليه)»^(١)، لأنه يتضمن حقيقة العبودية والاعتراف بغنى الرب وافتقار العبد وقدرة الله تعالى وعجز العبد وإحاطة الله تعالى بكل شيء علماً فالدعاء يزيد العبد قرباً من الله - واعترافاً بفضله - سبحانه ولأن ترك السؤال يعد تكبراً واستغناء عن الله فمن المستحب للعبد الإكثار من الدعاء لأنه لا يزيده إلا قرباً من ربه واعترافاً بحقه لذلك حث عليه الإسلام^(٢)، ومعنى الحديث أن من لم يسأل الله يغضبه والمبغوض مغضوب عليه والله يحب أن يسأل ويؤيده هذا الحديث «سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل...»^(٣)، وحديث «(إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء)»^(٤) وحديث «(إن الله يحب

(١) أخرجه أحمد: ٤٤٣/٢، والترمذي: ٤٥٦/٥، والحاكم: ٦٦٧/١ وقال: "صحيح

الإسناد" والبخاري في الأدب المفرد: ٢٢٩/١.

(٢) انظر تحفة الأحوذى / المباركفوري: ٢٢١/٩، وسبل السلام/ الصنعاني: ٢١٢/٤.

(٣) أخرجه الترمذي: ٥٦٥/٥، والطبراني في الأوسط: ٢٣٠/٥ وقال الهيثمي في

مجمع الزوائد: ١٠٠/٤: (فيه بكر بن سهل الدمياطي ضعفه النسائي ووثقه غيره

وبقية رجاله ثقات).

(٤) أخرجه الترمذي: ٥٥٢/٥، وأحمد: ٢٣٤/٥، والحاكم: ٦٧٠/١. وقال ابن حجر في

الملحين في الدعاء»^{(١)(٢)}. يقول الشاعر:

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب^(٣)
فلا يعجز المسلم عن الدعاء لأنه مقرب إلى الله وتركه مغضب
له سبحانه ، والعجز مذموم في جميع الأمور فكيف بالدعاء الخالي
من المشقة الجالب للمنافع بإذن الله ، يقول الرسول صلى الله عليه
وسلم: « أعجز الناس من عجز عن الدعاء »^(٤) فهل يعجز لسان
العبد عن الدعاء ويعجز عن رفع يديه.

وعلىنا كمسلمين أن ندعو الله سبحانه وتعالى ونلح عليه بالدعاء
لدفع البلاء وكشف الضراء ولا نقول كما يقول بعض الجهلة:
"اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه" بل نسأله
سبحانه رد قضاء السوء^(٥)؛ لأن الإسلام يحث المسلم بأن يدعو الله

فتح الباري: ٩٥/١١: (في سنده لين وقد صححه مع ذلك الحاكم وأخرجه
الطبراني في الدعاء بسند رجاله ثقات إلا أن فيه عنعنة بقية).

(١) أخرجه الشهاب في مسنده: ١٤٥/٢، وأورده البيهقي في الشعب: ٣٨/٢.

(٢) انظر: فتح الباري/ابن حجر: ٩٥/١١.

(٣) نسبه الإمام ابن القيم في مدارج السالكين: ١٣١/٣، لأبي العتاهية. لكن لم أجده في
ديوانه ، ولم أجد أحداً نسبه إليه غير الإمام ابن القيم .

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده: ٥/١٢، وصححه الألباني في السلسلة: ٦٠١.

(٥) فقد قال صلى الله عليه وسلم: ((لا يرد القضاء إلا الدعاء))، أخرجه: الترمذي ج: ٤

ص: ٤٤٨، وقال: (هذا حديث حسن غريب)، والطبراني في الكبير ج: ٦

عز وجل دائماً في جميع أحواله ولجميع أموره، قال صلى الله عليه وسلم: «من سره أن يستجيب الله له في الضراء فليكثر من الدعاء في السراء»^(١).

لذا عليه أن يكثر من الدعاء بخيري الدنيا والآخرة وما يجلب له السعادتين في الدارين، وما يصلح معاده ومعاشه هو وأفراد أسرته وجميع المسلمين وأن يتوسل إلى الله عز وجل بما هو مشروع مثل التوسل بأسمائه وصفاته^(٢)، وبالأعمال الصالحة^(٣) التي عملها ابتغاء وجهه الكريم وعليه أن يوقن بأن الله سوف يستجيب له لأنه سبحانه سميع مجيب حيي كريم يقول المصطفى: «إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفراً خائبين»^(٤).
والواجب على العبد أن يوجه العبادة لله وحده لا شريك له؛ لأن الدعاء

ص: ٢٥١، وأورده: المنذري في الترغيب والترهيب ج: ٢ ص: ٣١٦.

(١) أخرجه الترمذي: ٤٦٢/٥ الحاكم: ٧٢٩/١، وقال: (صحيح الإسناد).

(٢) قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (سورة: الأعراف: ١٨٠).

(٣) مثل الأنفار الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار وانفرج عنهم بسبب توسلهم لله

بأعمالهم الصالحة. أخرج هذا الحديث: البخاري: ٧٧١/٢، ومسلم: ٢٠٩٩/٤.

(٤) أخرجه أبوداود: ٧٨/٢، والترمذي: ٥٤٤/٥، وقال: (حديث حسن غريب)

والحاكم: ٦٧٥/١، وقال: (صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، وقال الهيثمي في مجمع

الزوائد: ١٥٢/١٠ مثل قول الحاكم.

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

عبادة، يقول تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (سورة الجن: ١٨)، والمستحب للمسلم ألا يجهر بالدعاء لأنه أرجى للقبول^(١)؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (سورة الأعراف: ٥٥) وقال: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (سورة الإسراء: ١١٠) [أي: بقراءة تك] أي بين الجهر والمخافتة سبيلاً وسطاً، فإن الاقتصاد في جميع الأمور محبوب ... وخفض الصوت أي غضه وعدم رفعه أولى لبعده من التصنع والرياء، ولدلالته على خشوع القلب أي خضوعه وانقياده^(٢).

والعبد يلجأ إلى الله دائماً ليعينه على الدعاء والذكر فالله عز وجل يقول: ﴿إِلَّاكَ تَبَتُّ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (سورة الفاتحة: ٥). فله العبادة ومنه العون عليها وله المنة والفضل لأن الإنسان قد يذهل في الشدة عن الأخذ بالأسباب الرافعة للمصائب المنجية منها لذا عليه أن يدعوه في الرخاء حتى يسدده وقت الشدة ولا يكله إلى نفسه طرفة عين.

(١) انظر قول شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك عند تفسيره سورة الأعراف في كتابه التفسير الكبير: ١٢٥/٢، وانظر التفسير القيم للإمام ابن القيم جمع أويس الندوي: ٢٤٥.

(٢) تهذيب رسالة الألفاظ المكفرات/ محمد بن إسماعيل المعروف ببدر الرشيد: ٢٠٥، ب، مخطوطة، مكتبة الملك عبد العزيز.

وقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل^(١) أن يقول
دبر كل صلاة^(٢): «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن
عبادتك»^(٣).

والمسلم يلتجئ إلى الله سبحانه في كل وقت ويبرأ من الحول
والقوة إلا به فمن الأدعية المأثورة التي هي سبب للإعانة بإذن الله
قوله صلى الله عليه وسلم: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح
لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»^(٤). وفي رواية

(١) معاذ بن جبل بن الخزرج يكنى أبا عبد الرحمن وهو أحد السبعين الذين شهدوا
العقبة من الأنصار. شهد العقبة وبدرا والمشاهد كلها وبعثه رسول الله صلى الله
عليه وسلم قاضيا إلى الجند من اليمن يعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام
ويقضي بينهم وجعل إليه قبض الصدقات. انظر: الاستيعاب/ ابن عبد البر
ج ٣/ص ١٤٠٢.

(٢) دبر كل صلاة أي قبل السلام لأن ابن خزيمة أخرج في صحيحه : ٣٦٣/١ : " أن
رسول الله إذا أراد أن يسلم من الصلاة استغفر ثلاثاً ثم قال اللهم أنت السلام ثم
يقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ". فإن هذا الباب يرد إلى
الدعاء قبل السلام.

(٣) أخرجه أبو داود: ٨٦/٣، والنسائي في المجتبى: ٥٣/٣، والحاكم: ٤٠٧/١ وقال
"صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، وابن خزيمة ٣٦٩/٩.

(٤) أخرجه الترمذي : ٥٣٩/٥، والحاكم : ٥٠٩/١، و ٧٣٠/١ وقال:(صحيح على
شرط الشيخين ولم يخرجاه) والطبراني في الأوسط ٤/٤٣ والصغير: ٢٧٠/١ وقال
الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١١٧:(رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... د. منيرة بنت محمد المطلق

أخرى: «اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين»^(١)، وأن يكثر من طلب الإعانة من الله فيقول: «ربي أعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي واهدني ويسر الهدى لي»^(٢)، ومما يبين أهمية الاستعانة ووجوب صرفها لله وحده دون سواه قوله صلى الله عليه وسلم «إذا استعنت فاستعن بالله»^(٣)، والمسلم لا يتهاون بما يصلح شأنه ويتقاعس عن العمل قال صلى الله عليه وسلم: «استعن بالله ولا تعجز»^(٤). ويقول الشاعر:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده^(٥)
لأن من استعان بقيوم السموات والأرض فقد فاز ومن استعان
بغيره وكل لهذا الغير وباء بالخسران والخذلان، وعليه أن يعزم

عثمان بن موهب وهو ثقة، وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الحنبلي المقدسي في الأحاديث المختارة ٣٠٠/٦، ٣٠١: (إسناده حسن)، والنسائي في الكبرى: ١٤٧/٦، وقال الألباني في صحيح الجامع: ٢٥٢٢ "صحيح".

(١) أخرجه أبو داود: ٣٢٤/٤، وأحمد ٤٢/٥، وابن حبان: ٢٥٠/٣، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٣٧/١٠: (رواه الطبراني وإسناده حسن).

(٢) أخرجه الترمذي: ٥٥٤/٥، وقال: "حسن صحيح"، وابن حبان ٢٢٧/٣، وصححه شعيب الأرناؤوط.

(٣) أخرجه الترمذي: ٦٦٧/٤، وقال: (حسن صحيح)، وأحمد: ٢٩٣/١.

(٤) أخرجه مسلم: ٢٠٥٢/٤.

(٥) سبق تخريجه.

بالدعاء ليتحقق له ما يريد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت ولكن ليعزم المسألة وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»^(١)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً: «إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء ولا يقل اللهم إن شئت فأعطني فإن الله لا مستكره له»^(٢)، لذا على الداعي أن يتحرى اكتمال شروط الدعاء المستجاب من ناحية المكان، والزمان، وما يتعلق بالشخص^(٣) الداعي حتى يكون دعاؤه أرجى بالقبول، ويلح العبد على ربه ويتضرع إليه باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطى فقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول: اللهم إني أسألك إن لك الحمد لا إله إلا أنت وخذك لا شريك لك المَنَّانَ بَدِيعَ السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد سألت الله باسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطى»^(٤)، وسمع النبي صلى الله عليه وسلم: رجلاً آخر يقول: اللهم إني

(١) أخرجه مسلم : ٢٠٦٣/٤ .

(٢) أخرجه مسلم : ٢٠٦٣ / ٤ .

(٣) يرجع لشأن الدعاء للخطابي ، والأذكار للنووي ، و لكتاب الدعاء لحسين عوايشة، والدعاء للحمد وغيرها من كتب الدعاء القديمة والحديثة .

(٤) أخرجه أحمد ١٢٠/٣ والحاكم ٦٨٣/١ وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقد روي من وجه آخر عن أنس بن مالك).

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأخذ الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال: «قد سأل الله باسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب»^(١). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل أدلكم على اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى الدعوة التي دعا بها يونس حيث ناداه في الظلمات الثلاث لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»^(٢).

حماية الدعاء للمسلم من المصائب عموماً:

المسلم حريص على أن يدعو بما يجلب له الخير ويبعد عنه الشر لأن الدعاء من أقوى الأسباب لجلب المنافع ودفع المضار قال صلى الله عليه وسلم: «لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا الصلة»^(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: «الدعاء والبلاء يعتلجان بين السماء والأرض فأيهما غلب وقع»^(٤)، وقال صلى الله عليه وسلم: «وأعدوا للبلاء الدعاء»^(٥)، يقول المناوي: (وأعدوا

(١) أخرجه أحمد ٣٥٠/٥، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود ١٤٩٣ (صحيح).

(٢) أخرجه الحاكم ٦٨٣/١، ٦٨٥/١، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه).

(٣) أخرجه الترمذي: ٤٤٨/٤، وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢١٣٩ (حسن).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) انظر تخريجه كاملاً في مبحث الزكاة.

للبلاء الدعاء) أي بأن تدعو عند نزول البلاء برفعه فلعله عرض البلاء ليصل إليه التضرع والابتهال فإنه تعالى يحب أن يُسأل^(١). وفي رواية: «وادفعوا عنكم طوارق البلاء بالدعاء فإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ما نزل يكشفه وما لم ينزل يحبس^(٢)». وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم قوله: «حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع»^(٣).

فمن يكثر من الدعاء يحفظه الله عز وجل من المهلكات ويدفع عنه البلاء و المصائب بأنواعها قال صلى الله عليه وسلم: «لا يهلك مع الدعاء أحد»^(٤).

(١) فيض القدير/المنائي: ٣/٣٨٨.

(٢) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين: ١/٣٤١، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: ٣٠١/١: (واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع) رواه أبو داود في المراسيل ورواه الطبراني والبيهقي وغيرهما عن جماعة من الصحابة مرفوعاً متصلاً والمرسل أشبه).

(٣) أورده البيهقي في الشعب ٣/٢٨٢، وقال: (فضال بن جبير صاحب منكير)، وقال العجلوني في الكشف: ١/٤٣٣، مثله، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: ٣٠١/١: (رواه أبو داود في المراسيل ورواه الطبراني والبيهقي وغيرهما عن جماعة من الصحابة مرفوعاً متصلاً والمرسل أشبه).

(٤) أخرجه ابن حبان: ٣/١٥٢، والحاكم: ١/٤٩٤، وقال: (صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

• أنواع الأدعية التي تقال لتحمي المسلم من المصائب عموماً:

هناك دعاء يقال في الصباح والمساء لحماية وأهله وماله وعرضه في الدنيا والآخرة، وحفظه من الزلازل ومن الشياطين ومن الشرور من جميع الجهات التي لا يستطيع الإمام بها ولا يستطيع أن يسد منافذ الشر عن نفسه.

قال صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي»^(١).

• من أنواع الأدعية التي تقال لتحمي نفس المسلم وماله وأهله من المصائب :

قوله صلى الله عليه وسلم: «من قال حين يصبح إن ربي الله الذي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ما شاء الله

(١) أخرجه أبو داود: ٦٩٨/١، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (صحيح) ٥٠٧٤، والنسائي في الكبرى ١٤٥/٦، وأحمد ٢٥/٢، وابن ماجه: ٢٢٧٣/٢، وابن حبان: ٢٤٣/٣، وقال شعيب الأرناؤوط: (إسناده حسن).

كان وما لا يشاء لا يكون لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
أشهد أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً
وأحصى كل شيء عدداً أعوذ بالذي يمسك السماء أن تقع على
الأرض إلا بإذنه، من شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها إن ربي على
صراط مستقيم لم ير يومئذ في نفسه ولا أهله ولا ماله شيئاً
يكرهه»^(١).

• من أنواع الأدعية التي تقال لتحمي جسد وحواس المسلم
من المصائب:

قوله صلى الله عليه وسلم: اللهم عافني في بدني، اللهم عافني
في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت اللهم إني أعوذ
بك من الكفر والفقر، وأعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت،
تقال صباحاً ومساءً ثلاث مرات^(٢). وهذا الذكر من أذكار الصباح
والمساء وهو بإذن الله يدفع عنه المصائب والبلاء.

ومما يدفع عن جسد المسلم وحواسه البلاء ما ورد عنه صلى الله
عليه وسلم: «اللهم عافني في جسدي وعافني في بصري واجعله

(١) أخرجه الحارث في بغية الباحث : ٢ / ١٩٥٣ .

(٢) أخرجه أبو داود : ٣٢٤ / ٤ ، والنسائي في الكبرى : ١٤٧ / ٦ ، وقال: (قال أبو
عبدالرحمن جعفر بن ميمون ليس بالقوي) ، وأحمد : ٤٢ / ٢ ، وابن أبي شيبة في
مصنفه ج : ٦ ص : ٢٤ ، وحسن ابن باز إسناده في تحفة الأخیار .

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

الوارث مني لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين»^(١)، ومن الأدعية التي تكون سبباً لدفع البلاء وحفظ الإنسان وحفظ حواسه وقوته الجسدية ودينه : قوله صلى الله عليه وسلم: «اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا»^(٢). وفي رواية أخرى: «اللهم ارزقني من طاعتك ما تحول به بيني وبين معصيتك وارزقني من خشيتك ما تبقي به رحمتك، وارزقني من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا وبارك لي في سمعي وبصري واجعلهما الوارث مني اللهم وخذ بثأري ممن ظلمني وانصرني على من عاداني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا مبلغ علمي اللهم لا تسلط علي من لا يرحمني»^(٣).

وفي رواية أخرى: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول بها بيننا

(١) أخرجه الترمذي: ٥/٥١٨، وقال: (حسن غريب).

(٢) أخرجه: الترمذي: ٥/٥٢٨، وقال القاري في مرقاة المفاتيح: ٥/٤٠١ (رواه

الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب)، ورواه النسائي، والحاكم وقال

٤/٢: (صحيح على شرط البخاري)، والبخاري في مسنده: ٥/٢٦٠.

(٣) أخرجه الحاكم: ١/٧٠٩: (هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه).

وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا»^(١).

رفع الدعاء للمصائب بعد وقوعها:

الدعاء من أعظم الأسباب لدفع المصائب يقول ابن حجر: (من ينكر التداعي بالدعاء يلزمه أن ينكر التداعي بالعقاقير ولم يقل بذلك إلا شذوذ والأحاديث الصحيحة ترد عليهم وفي الالتجاء إلى الدعاء مزيد فائدة ليست في التداعي بغيره لما فيه من الخضوع والتذلل للرب سبحانه بل منع الدعاء من جنس ترك الأعمال الصالحة اتكالا على ما قدر فيلزم ترك العمل جملة ورد البلاء بالدعاء كرد السهم بالترس وليس من شرط الإيمان بالقدر ألا يتترس من رمى السهم والله أعلم)^(٢).

وقد ورد عن الذي لا ينطق عن الهوى أدعية ترفع البلاء والمصائب بإذن الله كثيرة لا تعد، منها قوله صلى الله عليه وسلم: «دعوات

(١) أخرجه: الترمذي: ٥٢٨/٥ وقال: "حسن غريب"، و النسائي في الكبرى: ١٠٦/٦،

وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي (حسن) ٣٥٠٢.

(٢) فتح الباري/ابن حجر: ١٠/١٣٣.

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

المكروب اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت»^(١)،

السبب الرابع: قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله).

والسبب الخامس: قول: (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) لدفع الأذى عن النعمة من الولد والمال:

الحوقلة من الأذكار التي تدفع البلاء والمؤمن يؤمن بأنه لا يحدث شيء إلا بمشيئته - سبحانه وتعالى - وليس لنا حول ولا قوة إلا بالله تعالى فهو ربنا المدبر لكل شيء قد أخبر المصطفى عن فضلها و(أنها كنز من كنوز الجنة)^(٢)؛ لأن فيها معنى التفويض الكامل والاستسلام لله رب العالمين، وأنه لا يكون شيء إلا بإرادته ومشيئته، والحوقلة قائلها يتبرأ من الحول والقوة إلا بالله، ولا يقولها الإنسان لدفع عينه الصادرة عن العَجَب، بل يدفع عن نفسه العُجَب الذي هو الزهو والتكبر والفخر المسبب لهلاك نفسه، وما يملك بإذن الله ، فأنت أيها العبد وما تملك تحت مشيئة الله عز وجل وحوله وقوته. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «ألا أعلمك أو قال ألا أدلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة تقول لا حول ولا قوة إلا بالله فيقول الله عز وجل أسلم

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري: ١٥٤١/٤

عبيدي واستسلم»^(١) وعند أحمد زيادة: «ولا ملجأ من الله إلا إليه»^(٢): و (قال العلماء سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى واعتراف بالإذعان له وأنه لا صانع غيره ولا راد لأمره وأن العبد لا يملك شيئاً من الأمر)^(٣) وقال ابن حجر: (فإذا قال المسلم ما شاء الله لا قوة إلا بالله ذهب عُجْبُهُ وتكبُّرُهُ وغروره وزهوه بنفسه وفوض الأمر لله وعلم أن النعمة التي هو فيها منه سبحانه وإليه والعجب كبيرة محرمة)^(٤)، ويقول الإمام النووي: (لا

(١) أخرجه النسائي في الكبرى: ٧/٦، وأحمد ٢/٢٩٨/٣٣٥، والحاكم ١/٧١-٦٨١ وقال: (حديث صحيح ولا يحفظ له علة ولم يخرجاه)، والطبراني في الأوسط ٢٥/٧، والبيهقي في شعب الإيمان ١/٢١٦.

(٢) ٢/٣٠٩ و٥٧٥، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥٠/١، وقال رواه أحمد وروى الترمذي منه حديث (لا حول ولا قوة إلا بالله) وله عند ابن ماجه: ((الأكثر هم الأقلون)) ورجاله ثقات أثبات وقال المباركفوري في التحفة: ٤٥/١٠: (ورواه النسائي والبزار مطولاً ورفعاً) ((ولا ملجأ من الله إلا إليه)) ورواهما ثقات محتج بهم ورواه الحاكم وقال صحيح ولا علة له ... وفي رواية له وصححها أيضاً، قال: ((يا أبا هريرة ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة)) قلت: بلى يا رسول الله، قال: ((تقول لا حول ولا قوة إلا بالله ولا منجى من الله إلا إليه)) ذكره في الحديث).

(٣) شرح النووي: ٢٦/١٧.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي: ٢٣٨/١٢ و ٢٤٦/١٩، والنهاية في غريب الحديث: / ابن الأثير: ١٧٥/١ و ٢٥٢.

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

حول ولا قوة إلا بالله يجوز فيه خمسة أوجه لأهل العربية مشهورة أحدهما لا حول ولا قوة بفتحهما بلا تنوين والثاني فتح الأول ونصب الثاني منوناً والثالث رفعهما منونين والرابع فتح الأول ورفع الثاني منوناً والخامس عكسه ... (و) الحول الحركة أي لا حركة ولا استطاعة إلا بمشيئة الله ... وقيل لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله وقيل لا حول عن معصية الله إلا بعصمته ولا قوة على طاعته إلا بمعونته وحكي هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه^(١).

حماية الحوقلة للمسلم من المصائب قبل وقوعها بإذن الله:
والدليل على دفع الحوقلة: للبلاء والمصائب الكثيرة العدد والمتنوعة الأصناف قوله صلى الله عليه وسلم: «أكثرُوا من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها تدفع تسعة وتسعين باباً من الضر أدناها الهم والفقر»^(٢).

الحوقلة ترفع المصائب بعد وقوعها بإذن الله:
ومما يدل على أن الحوقلة ترفع المصائب و البلاء بعد وقوعه

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: ٨٧/٤.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ٣٣/٤، و الصغير ٢٦٧/١، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٠٦/١: (هذا رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه بلهط ضعفه العقيلي ووثقه ابن حبان).

قوله صلى الله عليه وسلم «أكثرُوا من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة، وإن فيها شفاء من تسعة وتسعين داء أدناها الهم»^(١). فعلى المسلم ألا يفتر لسانه عن ترديدها مع يقين القلب بمعناها حتى يندفع عنه الهم والفقر، فالحقولة ترفع البلاء لأن فيها شفاء لأمراض أدناها الهم.

حماية : قول (ما شاء الله) للمسلم من المصائب قبل وقوعها:
قال رسول الله ﷺ : «ما أنعم الله على عبد نعمة من مال أو أهل أو ولد فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيها آفة دون الموت»
وقرأ ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ (سورة الكهف : ٣٩)^(٢) لا بقدرتك وقوتك ولو شاء لنزع البركة

(١) أخرجه الحاكم : ٧٢٧/١، وقال: (صحيح ولم يخرجاه....) ، والطبراني في الكبير: ٢٦١/٨، والأوسط: ٢٨٩/١.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط: ١٢٦/٦، والصغير: ٣٥٢/١، وقال: (لا يروى هذا الحديث عن أنس إلا بهذا الإسناد تفرد به عمر بن يونس)، والبيهقي في الشعب: ٩٠/٤ و ١٢٤، والبغدادى في موضح أوهام الجمع والتفريق: ٤٢٩/٢، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٤٠/١٠، وقال: (رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه يونس بن تميم وهو ضعيف) ثم قال: (وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: من أنعم الله عليه بنعمة فأراد بقاءها فليكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله ..) رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الرحمن بن خالد بن نجيع وهو ضعيف. وابن كثير في التفسير ٨٥/٣ ، وقال: (قال الحافظ أبو الفتح الأزدي عيسى بن عون عن

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

منه^(١) فلا قدرة ولا قوة للإنسان على حفظ بدنه وماله أو دفع شيء عنها إلا بالله^(٢) ويقول الشوكاني إن في ذلك (تحضيضاً له على الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها وعلى الاعتراف بالعجز وأن ما تيسر له من عمارتها إنما هو بمعونة الله لا بقوته وقدرته قال الزجاج^(٣): لا يقوى أحد على ما في يده من ملك ونعمة إلا بالله ولا يكون إلا ما شاء الله ثم لما علمه الإيمان وتفويض الأمور إلى الله سبحانه^(٤) و (أن الله هو المنعم فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله ولا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه)^(٥).

السبب السادس: الاستغفار :

الاستغفار من العبادات التي يحبها الله ويرضاها وحث عليها ولها

عبد الملك بن زرارعة عن أنس لا يصح حديثه). وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع: ٨٦/٥ .

(١) الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي: ٤٠٦/١٠ .

(٢) انظر تفسير البغوي: ١٦٣/٣، وزاد المسير: ١٤٤/٥ .

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، أحد نحاة البصرة المشهورين، واللغوي والمفسر، من تصانيفه (معاني القرآن) و(الاشتقاق)، ت: ٣١١هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ١٢٣/٦ .

(٤) فتح القدير/ للشوكاني ٢٨٧/٣، وانظر تفسير أبي السعود: ٢٢٣/٥، والبيضاوي: ١٠٥/٣ .

(٥) مجموع الفتاوى/ ابن تيمية: ٣٤١/١٤ .

فوائد جلية منها دفع المصائب ورفعها .

حماية الاستغفار للمسلم من المصائب قبل وقوعها :

لقد جعل الله - تعالى - الاستغفار وسيلة وسبباً لدفع الفقر وأمراض العقم بل كافة الأمراض التي تضعف قوة الإنسان أو تنقص عدده يقول الله تعالى عن هود إنه قال لقومه: ﴿وَيَقْوِرْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (سورة هود: ٥٢). في هذه الآية دلالة على أن الاستغفار سبب في نزول المطر وزيادة القوة يقول الطبري: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ قال جعل لهم قوة فلو أنهم أطاعوه زادهم قوة إلى قوتهم وذكر لنا أنه إنما قيل لهم ويزدكم قوة إلى قوتكم قال إنه قد كان انقطع النسل عنهم سنين فقال هود لهم إن آمنتكم بالله أحيا بلادكم ورزقكم المال والولد لأن ذلك من القوة وقوله: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ يقول ولا تدبروا عما أَدْعُوكم إليه من توحيد الله والبراءة من الأوثان والأصنام مجرمين يعني كافرين بالله^(١). بل إن القوة^(٢) هنا مطلقة فتكون قوة في العتاد، والبدن،

(١) جامع البيان/ الطبري: ٥٨/١٢، وانظر تفسير البيضاوي: ٢٣٩/٣.

(٢) يقول الرازي في مختار الصحاح: ٢٣٣: (القوة ضد الضعف والقوة الطاقة من الحبل وجمعها قوى ورجل شديد القوى أي شديد أسر الخلق وأقوى الرجل إذا كانت دابته قوية يقال فلان قوي مقو فالقوي في نفسه والمقوي في دابته). وانظر

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

والعقل وغيره والله أعلم. ويقول الإمام القرطبي: (هذه الآية والتي في هود دليل على أن الاستغفار يستنزل به الرزق والأمطار)^(١). وتكثر به الأولاد وتزداد به الجنات والأنهار.

وقال تعالى عن فائدة وفضل الاستغفار مبيناً على لسان نوح عليه السلام: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (سورة نوح: ١٠، ١١، ١٢). يقول ابن كثير: عند قوله تعالى عن نوح: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ ﴾ أي: متواصلة الأمطار ولهذا تستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية وهكذا روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صعد المنبر ليستسقي فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات في الاستغفار ومنها هذه الآية ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ ﴾ قال: لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر) وقال ابن عباس وغيره: يتبع بعضه بعضاً، وقوله تعالى ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ أي: إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء وأنبت لكم

لسان العرب/ابن منظور : ٢٠٦/٩.

(١) الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي: ٣٠١/١٨.

من بركات الأرض وأنبت لكم الزرع وأدر لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين أي أعطاكم الأموال والأولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها^(١).

الاستغفار يرفع المصائب بعد وقوعها بإذن الله:

لقد مر في أسباب وقوع المصائب أن من أسبابها الذنوب^(٢) و دواء الذنوب الاستغفار فعن أبي ذر^(٣) مرفوعاً: «إن لكل داء دواء وإن دواء الذنوب الاستغفار»^(٤)، وقال قتادة^(٥) «إن هذا القرآن

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير: ٤/٤٢٦.

(٢) انظر: التمهيد: المطلب الأول.

(٣) أبو ذر الغفاري ويقال أبو الذر والأول أكثر وأشهر واختلف في اسمه اختلافا كثيرا ف قيل جندب بن جنادة وهو أكثر وأصح ما قيل فيه إن شاء الله تعالى وقيل برير بن عبد الله وبرير بن جنادة وبرير بن عشرة وقيل برير بن جندب وقيل جندب بن عبد الله وقيل جندب بن الموطأ والمشهور جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صعيبر بن حرام بن غفار وقيل جندب بن سفيان بن جنادة بن عبيد بن الواقفة بن الحرام بن غفار بن مليل بن صنمرة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار الغفاري. الاستيعاب/ابن عبد البر: ٤ / ١٦٥٢.

(٤) لم أجده إلا عند ابن رجب في جامع العلوم والحكم: ٣٩٧.

(٥) هو: قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب البصري أحد الأعلام، قال الذهبي: فقيه، حافظ، ثبت لكنه مدلس وقال أحمد عنه: قتادة عالم بالتفسير ت: ١١٧هـ، انظر ميزان الاعتدال/الذهبي: ٣/٣٨٥، تذكرة الحفاظ/الذهبي ١/١٢٢.

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

يدلكم على داءكم ودوائكم فأما داءكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار^(١)، فالاستغفار لا يقتصر على دفع المصائب وجلب النعم بل إنه بإذن الله يرفعها بعد وقوعها.

ومما يبين فوائد الاستغفار العظيمة قوله صلى الله عليه وسلم: «من لزم الاستغفار جعل الله تعالى له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»^(٢).

فإذا وقع المسلم في هم أو فقر أو مرض أو ضاقت عليه الدنيا فعليه أن يلزم^(٣) الاستغفار ويكثر منه سواء كان قائماً أو قاعداً أو على جنبه حتى يحوز على رضا الرحمن فإن الرسول صلى الله عليه وسلم: (كان يستغفر في اليوم أكثر من سبعين مرة)^(٤) وفي بعض

(١) المصدر السابق: ١/٣٩٧.

(٢) أخرجه أبو داود: ٨٥/٢ ، وأحمد: ٢٤٨/١ ، وابن ماجه : ١٢٥٥/٢ ، والحاكم: ٢٩١/٤ ، وقال: (حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

(٣) يقول ابن منظور في لسان العرب: ١٢/٥٤١: (لزم: اللزوم معروف والفعل لزم يلزم والفاعل لازم والمفعول به ملزوم لزم الشيء يلزمه لزماً ولزوماً ولازمه ملازمة ولزماً والتزمه وألزمه إياه فالتزمه ورجل لزمه يلزم الشيء فلا يفارقه).

(٤) أخرجه أبو داود : ٨٤/٢ ، وابن حبان: ٢٠٤/٣ ، والطبراني في الأوسط: ٢/٢١٢. والبزار في مسنده: ٣/١ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٠٨/١٠ (عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة وفي رواية (إني لأتوب) مكان (إني لأستغفر) رواه الطبراني في الأوسط كله وروى

الروايات: (أنه يستغفر مائة مرة)^(١) وهو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو خاتم النبيين وقد وردت عن المصطفى صلى الله عليه وسلم صيغ عديدة للاستغفار ومن أفضل الاستغفار سيده، قال صلى الله عليه وسلم: «سيد الاستغفار اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أبوء لك بنعمتك وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أعوذ بك من شر ما صنعت إذا قاله حين يمسي فمات دخل الجنة أو كان من أهل الجنة وإذا قاله حين يصبح فمات من يومه فمثله»^(٢).

قصة :

ففي الاستغفار تكون النعم وتدوم وتندفع النقم وترتفع بإذن الله فقد (شكا رجل إلى الحسن الجدوبة فقال له: استغفر الله، وشكا آخر إليه الفقر، فقال له: استغفر الله، وثالث آخر قال: ادع الله أن

معه (إني لأتوب)، وأبو يعلى والبخاري (إني لأستغفر) بإسناد حسن ، وأحد إسنادي أبي يعلى في حديث (إني لأتوب إلى الله) رجاله رجال الصحيح وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إني لأستغفر الله وأتوب إليه سبعين مرة) وفي رواية (أكثر من سبعين مرة) وفي رواية (مائة مرة) رواها كلها الطبراني في الأوسط وأسانيدها حسنة .

(١) أخرجه مسلم ٢٠٧٥/٤ .

(٢) أخرجه البخاري ٢٣٣٠/٥ .

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

يرزقني ولدأ، فقال له: استغفر الله، وشكا إليه آخر جفاف بستانه فقال: له استغفر الله، فقلنا له في ذلك، فقال: ما قلت من عندي شيئاً إن الله تعالى يقول في سورة نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً﴾ (سورة نوح: ١٠ - ١١) ^(١).

المبحث الثالث: الصلاة تحمي من المصائب قبل وقوعها وترفعها بعد وقوعها بإذن الله.

لقد جعل الله تعالى الصلاة الركن الثاني من أركان الإسلام والصلاة سبب من أسباب دفع ورفع المصائب و البلاء وإزالة الهم.

حماية الصلاة للمسلم من المصائب قبل وقوعها:

الصلاة سبب في جلب الرزق ودفع الفقر فإذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب ولا تدري. يقول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾.

(سورة طه: ١٣٢). قوله: لا نسألك رزقاً نحن نرزقك يعني: إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق ^(٢) من حيث لا تحتسب ولا تدري، والصلاة فيها حفظ للعبد بدفع المصائب و البلاء عن نفسه وما يملك يقول صلى الله عليه وسلم: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله

(١) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي : ٣٠٢/١٨.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم / ابن كثير: ١٧٢/٣.

فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء فيدركه فيكبه في نار جهنم»^(١). يقول النووي: (في ذمة الله قيل الذمة هنا الضمان وقيل الأمان)^(٢).

الصلاة ترفع المصائب بعد وقوعها:

الصلاة راحة من هموم الدنيا وغمومها فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم قوله: «أرحنا يا بلال بالصلاة»^(٣)، وسبب لدفع الحزن وجلب لقرار العين والشعور بالسعادة قال صلى الله عليه وسلم: «وجعل قرعة عيني في الصلاة»^(٤) فكان المصطفى إذا حزبه^(٥) أمر صلى^(٦). وفي رواية (إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة)^(٧)، ففي الصلاة تفريج

(١) أخرجه مسلم: ٤٥٤/١.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: ١٥٨/٥.

(٣) أخرجه أبو داود: ٢٩٦/٤، وأحمد: ٣٦٤/٥، والطبراني في الكبير ٢٧٦/٦، وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار ١١٨/١: (الدارقطني في العلل من حديث بلال ولأبي داود نحوه من حديث رجل من الصحابة لم يسم بإسناد صحيح).

(٤) أخرجه النسائي في (المجتبى) ٦١/٧، و الحاكم ١٧٤/٢، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه).

(٥) كان إذا حزبه أمر صلى أي نزل به مهم أو أصابه غم) النهاية في غريب الأثر/ ابن الأثير: ٣٧٧/١.

(٦) أخرجه أبو داود ٣٥/٢، و أحمد: ٣٨٨/٥، وقال ابن حجر في فتح الباري ١٧٢/٣: ((حزبه أمر صلى): أخرجه أبو داود بإسناد حسن)، وأورده الهندي في كنز العمال: رقم ١٨٠٠١.

(٧) أخرجه ابن حبان في الثقات ١٦٨/٨، وعبد الباقي أبو الحسين في معجم الصحابة

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

للكرب ورفع للمصائب. فقد أورد مسلم في صحيحه^(١) قصة الراهب جريج عندما دعت عليه والدته بألا يموت حتى يرى المومسات^(٢)، فاتهمته إحداهن بوليدها فأراد القوم أذيته فقال: (دعوني أصلي فصلي فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال يا غلام من أبوك قال فلان الراعي)، وفي الصلاة رفع للأمراض والأدواء فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما هجرت^(٣) إلا وجدت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي قال فصلي قال: «اشكب درد»^(٤) قال: قلت: لا، قال: «قم فصل فإن في الصلاة شفاء»^(٥)،

١٨٩/٢، والطبري في التفسير : ١ / ٢٦٠، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود ١٣١٩د: (حسن).

(١) ١٩٧٦/٤.

(٢) (المومسة الفاجرة) النهاية في غريب الأثر/ابن الأثير: ٣٧٣/٣.

(٣) (هي لغة حجازية أراد المبادرة إلى أول وقت الصلاة .. وفيه أنه كان يصلي الهجير حين تدحض الشمس أراد صلاة الهجير يعني الظهر فحذف المضاف والهجير والهاجرة اشتداد الحر نصف النهار) النهاية في غريب الحديث/ ابن الأثير الجزري ج: ٥ ص: ٢٤٥.

(٤) وقال الذهبي في ميزان الاعتدال: ٥١/٣ : (معناه اشتكى بطنك).

(٥) أخرجه ابن ماجه: ١١٤٤/٢، وأحمد: ٣٩٠/٢، ٤٠٣/٢، وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية ١٧٧/١: (قال المصنف هذان حديثان لا يصحان أما حديث أبي هريرة فالطرق الأربعة المتقدمة منه يرويها ذواد بن علبة أبو المنذر الحارثي

والمسلم إذا وقع له من أمور الدنيا من هم أو كرب أو غيره يستعين بإزالته بعد الصبر بالصلاة يقول الله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (سورة البقرة: ٤٥ - ٤٦)، وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة البقرة: ١٥٣)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاءه نعي بعض أهله وهو في سفر فصلى ركعتين ثم قال فعلنا ما أمر الله استعينوا بالصبر والصلاة^(١).

المبحث الرابع: الصلاة على المصطفى صلى الله عليه وسلم تحمي من المصائب قبل وقوعها وترفعها بعد وقوعها بإذن الله.

إن الصلاة على أشرف الخلق سبب لدفع البلاء و المصائب ورفعها بعد وقوعها فقد قال أبي بن كعب^(٢): يا رسول الله إني أكثر الصلاة

قال يحيى لا يكتب حديثه وقال مرة ليس بشيء وقال ابن حبان يروي عن الثقات ما لا أصل له)، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال: ٥١/٣: (روى جماعة عن ذواد عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا أبا هريرة اشكب درد قلت لا قال صل فإن في الصلاة شفاء) أخرجه أحمد في مسنده والأصح ما رواه المحاربي عن ليث عن مجاهد).

(١) أخرجه الحاكم: ٢/٢٩٦ وقال (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

(٢) أبي بن كعب بن قيس بن النجار بن الخزرج شهد أبي بن كعب العقبة الثانية

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

عليك فكم أجعل لك منها، قال: «ما شئت» قال: الربع، قال: «ما شئت وإن زدت فهو خير لك» قال: النصف، قال: «ما شئت وإن زدت فهو خير لك» قال: الثلثين، قال: «ما شئت وإن زدت فهو خير لك» قال: يا رسول الله أجعلها كلها لك، قال: «إذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك»^(١). فقد يكون الهم من بلاء نازل أو متوقع فيرتفع أو يندفع عن أكثر الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم. (وقول السائل أجعل لك من صلاتي يعني من دعائي فإن الصلاة في اللغة هي الدعاء قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ (سورة التوبة: ١٠٣) وقال النبي: «اللهم صل على آل أبي أوفى» وقالت امرأة: صل علي يا رسول الله وعلى زوجي، فقال: «صلى الله عليك وعلى زوجك»^(٢) فيكون مقصود السائل أي يا رسول الله إن لي دعاء أدعوه به أستجلب به)^(٣). (فإن هذا كان له

وبايع النبي صلى الله عليه وسلم فيها ثم شهد بدرا وكان أحد فقهاء الصحابة وأقرأهم لكتاب الله انظر: الاستيعاب/ ابن عبد البر ج ١/ ص ٦٥-٦٦.

(١) أخرجه الترمذي ٦٣٦/٤، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، والحاكم ٤٥٧/٢، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) وتابعه الذهبي، وقال ابن حجر في فتح الباري: ١٦٩/١١: (أخرجه أحمد وغيره بسند حسن).

(٢) أخرجه البخاري: ٥٤٤/٢، ومسلم: ٧٥٦/٢.

(٣) مجموع الفتاوى/ ابن تيمية: ٣٤٩/١.

دعاء يدعو به فإذا جعل مكان دعائه الصلاة على النبي كفاه الله ما أهمه من أمر دنياه وآخرته فإنه كلما صلى عليه مرة صلى الله عليه عشراً وهو لو دعا لآحاد المؤمنين لقاتل الملائكة آمين ولك بمثله فدعاؤه للنبي أولى بذلك^(١). فإذا فعل ذلك دفع الله عنه وكفاه الله أمره وما يقصده في الدنيا والآخرة، وهذا غاية ما يدعو به الإنسان لنفسه من جلب للخيرات ودفع للمضرات لأن الدعاء فيه تحصيل ما يطلبه الإنسان ويرغب به، ودفع ما يخافه وما يفر منه من المحن وعوارض الدنيا^(٢).

(و المقصود بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم التقرب إلى الله بامثال أمره وقضاء حق النبي صلى الله عليه وسلم، أما ابن عبد السلام^(٣) فقال ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة له فإن مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا فإن عجزنا عنها كافأناه بالدعاء فأرشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافأته إلى الصلاة عليه وقال ابن العربي فائدة الصلاة عليه ترجع

(١) المصدر السابق: ١٩٣/١.

(٢) انظر الرد على البكري / ابن تيمية: ١٣٣/١، وتحفة الذاكرين/ الشوكاني: ٣، وتحفة الأحوذى/المباركفوري: ١٣٠/٧.

(٣) العز بن عبد السلام بن أحمد القيلوي البغدادي العالم الفقيه صاحب التصانيف ، ت: ٦٥٩ هـ. انظر: كشف الظنون/الحنفي: ٢ / ١٣٣٩.

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

إلى الذي يصلي عليه لدلالة ذلك على نصوع العقيدة وخلوص النية وإظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام ..^(١).

ولا يوجد تعارض بين الأقوال السابقة فإن الصلاة عليه تكون بالدعاء له وهذا بطاعته وامثال أمره وقضاء حقه ألم يقل الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة الأحزاب: ٥٦) وطاعة الرسول من طاعة الله فإنه - صلى الله عليه وسلم - لا ينطق عن الهوى .

المبحث الخامس: الصدقة تحمي من المصائب قبل وقوعها وترفعها بعد وقوعها بإذن الله.

الصدقة تدفع المصائب قبل وقوعها وترفعها بعد وقوعها وهي تعد من أفضل الأعمال والطاعات لأن نفعها يتعدى العبد نفسه إلى غيره من المسلمين ، والمتصدق (السخي قريب من الله تعالى ومن خلقه ومن أهله، وقريب من الجنة وبعيد من النار، والبخيل بعيد من الله ومن خلقه بعيد من الجنة قريب من النار، فجود الرجل يحببه إلى أضداده، وبخله يبغضه إلى أولاده)^(٢) ، .. وينشأ عن الشح من الأخلاق المذمومة وإن كانت ذريعة إلى كل مذموم أربعة أخلاق ناهيك بها ذم الحرص والشره وسوء الظن ومنع الحقوق فالحرص

(١) فتح الباري/ابن حجر: ١٦٨/١١.

(٢) انظر الوابل الصيب/ ابن القيم: ٥٢.

شدة الكدح والجهد في الطلب والشره استقلال الكفاية والاستكثار بغير حاجة وهذا فرق ما بين الحرص والشره وسوء الظن عدم الثقة بمن هو أهل لها والخاتمة منع الحقوق لأن نفس البخيل لا تسمح بفراق محبوبها ولا تنقاد إلى ترك مطلوبها ولا تدعن للحق ولا تجيب إلى إنصاف وإذا آل الشح إلى ما وصف من هذه الأخلاق المذمومة والشيم اللئيمة لم يبق معه خير موجود ولا صلاح مأمول ..^(١)، والنفس الشحيحة البخيلة بالخير بخيلة كذلك بالعمل الصالح والشحيح هو الذي يكره الخير للنفس فيقتصر عليها وعلى أهله وولده وأما البخيل فهو البخيل على الغير .

حماية الصدقة للمسلم من المصائب قبل وقوعها :

إن العبد الذي حماه الله من البخل والشح قد يكون من أهل الفلاح قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقْ شَحْ نَفْسِهِ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢) (سورة التغابن: ١٦). لأن الصدقة تحط السيئات يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «الصدقة تطفئ الخطيئة»^(٣)، وهي ترضي الله

(١) فيض القدير/ المناوي: ١٢٥/٣.

(٢) انظر الوابل الصيب: ٥٢ من الحاشية من كلام الشيخ الألباني.

(٣) أخرجه الترمذي: ١١/٥، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، وأحمد: ٣٢١/٣،

وابن حبان: ٣٧٨/١٢، والحاكم: ١٥٢/١، و/١٤١، وأورده الهيثمي في مجمع

الزوائد: ١٤١/٤ برواية (والصدقة تطفئ الخطيئة والصلاة قربان أو قال برهان

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

على المتصدق تطفئ عنه غضبه سبحانه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الصدقة تطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء»^(١). فالصدقة عندما تطفئ غضب الله عز وجل تندفع بذلك عن العبد المصائب و البلاء والخاتمة السيئة بسبب رضا الرحمن عنه لأنه تصدق. يقول نبي الرحمة: «تصدقوا فإن الصدقة تقي مصارع السوء وتدفع ميتة السوء»^(٢)، وفي رواية: «إن الله ليدرأ بالصدقة سبعين باباً من ميتة السوء»^(٣)، وفي رواية: «الصدقة تسد سبعين باباً من السوء»^(٤)، فالصدقة تحصين للمال وزيادة له ونماء ودفع للفقر

يا كعب بن عجرة الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها أو بائع نفسه فموبقها (رواه أحمد والبخاري وزاد (لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت النار أولى به) ورجالهما رجال الصحيح.

(١) أخرجه الترمذي: ٥٢/٣، وقال: (حديث حسن غريب)، والحاكم: ٦٥٧/٣، وابن حبان: ١٠٣/٨، والطبراني في الكبير: ٢٦١/٨، والأوسط: ١/ ٥١٣ والصغير: ٢٠٥/٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١١٠/٣، (رواه الطبراني في الأوسط ... وفيه أصرم بن حوشب وهو ضعيف) وقال المقدسي في الأحاديث المختارة ٢٢٠/٥: (إسناده صحيح).

(٢) أخرجه الربيع في مسنده: ١٤٠/١، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٢/٨، (رواه أحمد من طريق بعض بني رافع ولم يسمه وبقية رجاله ثقات).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير: ٢٧٤/٤، وقال الألباني في: ضعيف الترغيب والترهيب (ضعيف).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير: ٢٧٤/٤، وأورده العجلوني في الكشف: ٢٩/٢ وقال

والحاجة والفاقة يقول صلى الله عليه وسلم: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً»^(١)، وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً: «ما نقص مال من صدقة»^(٢). وقال صلى الله عليه وسلم: «بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فإذا شرجة^(٣) من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فاتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال له يا عبد الله ما اسمك قال فلان للاسم الذي سمع في السحابة فقال له يا عبد الله لم تسألني عن اسمي فقال إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها قال أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وأكل أنا وعتالي ثلثاً وأرد

الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠٩/٣ (رواه الطبراني في الكبير وفيه حماد بن شعيب وهو ضعيف).

(١) أخرجه البخاري: ٥٢٢/٢.

(٢) أخرجه الترمذي: ٥٦٢/٤، وقال: (حديث حسن صحيح). وأحمد: ٢٣١/٤، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠٥/٣ (صحيح).

(٣) شرجة: مسيل الماء من الحرة إلى السهل: النهاية في غريب الحديث/ابن الأثير: ٤٥٦/٢.

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

فيها ثلثه»^(١). فكيف يأتي الفقر و الفاقة مع الإنفاق والتصدق إنما تتالى المحن وتتابع مع الشح وقبض اليد فالحافظ للعبد وماله هو الله وليس الإنسان. يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۖ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ (سورة الليل: ٥ - ١٠).

فينبغي للمسلم الإكثار من الصدقات قبل حلول البلاء لأنها تدفعه بإذن الله قال صلى الله عليه وسلم: «باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها»^(٢) أي إن الصدقة تدفع البلاء فتكون حاجزاً دون

(١) أخرجه مسلم: ٢٢٨٨/٤.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن: ١٨٩/٤، وقال: (موقوف .. وروي عن أبي يوسف القاضي عن المختار بن فلفل مرفوعاً) والطبراني في الأوسط: ٩/٦ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١١٠/٣: (رواه الطبراني في الأوسط وفيه عيسى بن عبد الله بن محمد وهو ضعيف). وقال العجلوني في كشف الخفاء ٢٩/٢: (ذكر السيوطي أن البيهقي في الشعب أخرجه بهذا عن علي وفي جامع رزين وليس في شيء من أصوله حديثه ولفظه (باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها)، وقال العجلوني أيضاً في كشف الخفاء: ٣٢٦/١: (قال في المقاصد نقلاً عن الحافظ ابن حجر وليس الحديث بموضوع كما فعل ابن الجوزي لا سيما وفي معناه ما أورده الديلمي عن أنس رفعه (الصدقات بالغدوات تذهب بالعاهات) وما رواه الطبراني بسند فيه ضعيف عن علي بن أبي طالب رفعه مثله وذكره رزين في جامعه وكذا البيهقي عن أنس موقوفاً ونقل الحافظ ابن حجر أن المرفوع وهم)

صاحبها وفي رواية: «الصدقة تمنع سبعين نوعاً من أنواع البلاء أهونها الجذام والبرص»^(١).

الصدقة ترفع المصائب بعد وقوعها :

الصدقة بإذن الله ترفع البلاء والمصائب بعد وقوعها يقول صلى الله عليه وسلم: «الصدقات بالغدوات يذهبن بالعاهات»^(٢). وهي بإذن الله دواء للداء النازل يقول صلى الله عليه وسلم: «داووا مرضاكم بالصدقة وحصنوا أموالكم بالزكاة وأعدوا للبلاء الدعاء»^(٣).

(١) أخرجه: البغدادى في تاريخه : ٢٠٧/٨ ، وأورده العجلونى في الكشف: ٢٩/٢ ، والمناوى في فيض القدير: ٢٣٦/٤. قال المناوى في التيسير بشرح الجامع الصغير ١٠٤/٢: (عن أنس بإسناد ضعيف).

(٢) أخرجه الديلمي في الفردوس: ٤١٤/٢ ، وقال العجلونى في كشف الخفاء ٢٩/٢: (ورواه الطبرانى عنه موقوفاً ومرفوعاً). وقال أيضاً في كشف الخفاء ٣٢٩/١: (رواه الطبرانى بسند فيه ضعيف عن علي بن أبي طالب رفعه مثله وذكره رزين في جامعه وكذا البيهقي عن أنس موقوفاً ونقل الحافظ ابن حجر أن المرفوع وهم).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن: ٣٨٢/٣ ، وقال: (قال أبو عبد الله تفرد به موسى بن عمير قال الشيخ: وإنما يعرف هذا المتن عن الحسن البصري عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا)، والطبرانى في الكبير: ١٢٨/١٠ والأوسط: ٢٧٤/٢ ، وقال مثل قول البيهقي، وأورده البغدادى في تاريخه: ٣٣٣/٦ ، وقال مثل قول البيهقي، (وهو حسن بمجموع طرقه) انظر: كيف تحمي نفسك من المصائب/ محمد الشايع، وعبد السلام الشويعر ٢٥.

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

ويظهر من هذا الحديث أن الصدقة دواء للجسد من المرض وتحصين للمال من التلف يقول المناوي: حصنوا أموالكم بالزكاة أي بإخراجها فإنه ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بمنع الزكاة ... فأداء الزكاة كالحصن للأموال تحرس بها وتحصن بأدائها من آفات وعقوبات تركها (وداؤوا مرضاكم بالصدقة) فإنها من أنفع الدواء الحسي^(١)، ومن أفضل الصدقات الإطعام لقوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿ (سورة الإنسان: ٨، ٩)، وقد جعله الله من الكفارات فقال عن كفارة الحلف: ﴿فَكَفَّرْنَاهُ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾ (سورة المائدة: ٨٩). وعن كفارة الظهار قال تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ (سورة المجادلة: ٤)، وقد ذم الله عز وجل الذي لا يطعم المساكين فقال: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ (سورة الماعون: ٣). وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَخْضُوتَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ (سورة الفجر: ١٨)، وليس شيئاً من أعمال البر أقرب برهاناً ولا أظهر نجاحاً في الوقت من إطعام الطعام.

المبحث السادس: بر الوالدين يحمي من المصائب قبل وقوعها ويعالجها بعد وقوعها بإذن الله.

من أسباب الحماية من المصائب قبل وقوعها ورفعها بعد وقوعها البر

(١) فيض القدير/المناوي: ٣/٣٨٨.

بالوالدين، ولقد حث الإسلام على إكرام الوالدين والبر بهما والبعد عن عقوقهما ومما ورد في كتاب الله عز وجل من الوصاية بهما: قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ (سورة النساء: ٣٦)، وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ (سورة العنكبوت: ٨)، وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ (سورة لقمان: ١٤)، وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ (سورة الإسراء: ٢٣، ٢٤).

يقول ابن كثير: يقول الله تعالى (أمرأ بعبادته وحده لا شريك له فإن القضاء ههنا بمعنى الأمر قال مجاهد وقضى يعني وصى وكذا قرأ أبي بن كعب وابن مسعود...) ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (سورة الإسراء: ٢٣)، ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين فقال: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ أي وأمر بالوالدين إحساناً كقوله في الآية الأخرى ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ

إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١﴾.

ويجب احترامهما في الكبر خاصة فلا يقال لهما قول سيئ حتى ولا أقل مراتبه وهو التأفف وقد أمر الله بالدعاء لهما بالرحمة حال الحياة وحال الممات. يقول ابن كثير عند الآية السابقة: ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفِي﴾ أي لا تسمعهما قولاً سيئاً حتى ولا التأفف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ ولا تنهرهما أي ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح كما قال عطاء بن أبي رباح^(٢) في قوله ولا تنهرهما أي لا تنفض يدك عليهما ولما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح أمره بالقول الحسن والفعل الحسن فقال وقل لهما قولاً كريماً أي لينا طيباً حسناً بتأدب وتوقير وتعظيم ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أي: تواضع لهما بفعلك ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ أي: في كبرهما ثم

(١) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير: ٣٥/٣.

(٢) فقيه الحجاز أبو محمد عطاء بن أبي رباح تابعي من مولدي جند اليمن وأمه سوداء تسمى بركة وكان صبياً نشأ بمكة وتعلم الكتاب بها فكان مفتي مكة ومحدثها وهو من أجلاء الفقهاء وهو مولى لبني فهر وكان على ما قال ابن قتيبة أسود سمع عائشة وأبا هريرة وابن عباس ، وقال أبو حنيفة ما رأيت أفضل منه وكان من أحسن الناس صلاة، ت: ١١٤هـ وله ثمان وثمانون سنة. انظر: تذكرة الحفاظ/الذهبي: ٢٣٥/٤، وشذرات الذهب/ابن العماد: ج ١/ص ١٤٧.

وفاتهما ...)»^(١)، ومن عظيم حقهما ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه»^(٢)، وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات فقال: «لا تشرك بالله شيئاً، وإن قتلت وحرقت، ولا تعقن والديك، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ...»^(٣)، وقد استأذن أحد الصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم في الجهاد معه، فأمره أن يرجع ويبر أمه، ولما كرر عليه، قال: أمك حية؟ فقلت نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الزم رجلها فثم الجنة»^(٤). وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أجاهد قال: «لك أبوان؟» قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»^(٥)، وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أملك»، قال: ثم من؟ قال: «أملك»،

(١) المصدر السابق: ٣٥/٣.

(٢) أخرجه البخاري: ١٧/١.

(٣) أخرجه أحمد ٢٢٥/٥، والطبراني في الكبير: ٨٢/٢٠، والبيهقي في الكبرى: ٣٠٤/٧، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢١٥/٤ (رجال أحمد ثقات).

(٤) أخرجه ابن ماجه: ٩٢٩/٢، والطبراني في الكبير: ٣١١/٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٣٨/٢ (رواه الطبراني ورجاله ثقات).

(٥) أخرجه البخاري: ٥ / ٢٢٢٨.

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أبوك»^(١)، يقول ابن حجر: (.... مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر قال: وكان ذلك لصعوبة الحمل ثم الوضع ثم الرضاع فهذه تنفرد بها الأم، وتشقى بها ثم تشارك الأب في التربية)^(٢).
وقد حذر ونهى صلى الله عليه وسلم عن عقوقهما فقال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال، والديوث»^(٣)، وثلاثة لا يدخلون الجنة، العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمثان بما أعطى)^(٤). أي (لا ينظر الله أي نظر رحمة وإلا فلا يغيب أحد عن نظره والمؤمن مرحوم بالآخرة قطعاً.. (و) (العاق لوالديه) المقصر في أداء الحقوق إليهما)^(٥). وعد ذلك من الكبائر.

(١) أخرجه البخاري: ١٣٨/٢.

(٢) فتح الباري/ ابن حجر: ٤٠٣/١٠.

(٣) الذي لا يغار على أهله ديوث و التديث القيادة وفي المحكم الديوث والديوث الذي يدخل الرجال على حرمة بحيث يراهم كأنه لين نفسه على ذلك وقال ثعلب هو الذي تؤتى أهله وهو يعلم . انظر: لسان العرب/ ابن منظور ج: ٢ ص: ١٥٠.

(٤) أخرجه النسائي في المجتبى: ٨٠/٥، وأحمد: ١٣٤/٢، وأبو يعلى في مسنده:

٤٠٨/٩، قال محقق الكتاب حسين أسد "إسناده صحيح".

(٥) حاشية السندي على النسائي: ٨١/٥.

فقد سئل الرسول ﷺ: ما الكبائر، فقال: ((الإشراك بالله)) قال: ثم ماذا، قال: ((عقوق الوالدين))، قال: ثم ماذا، قال: ((اليمين الغموس))، قلت: وما اليمين الغموس؟ قال: ((الذي يقطع مال امرئ مسلم هو فيها كاذب))^(١). وفي رواية مسلم (عقوق الوالد)^(٢).
فالمسلم الرفيق ببر والديه بجميع أنواع البر وقد ورد بعضها في هذا الحديث فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لرجل أتى ومعه شيخ: «يا فلان من هذا معك» قال: أبي، قال: «فلا تمش أمامه ولا تجلس قبله ولا تدعه باسمه ولا تستسب له»^{(٣)(٤)}

حماية بر الوالدين للمسلم من المصائب قبل وقوعها:

لقد بين المصطفى صلى الله عليه وسلم أن بر الوالدين سبب

(١) أخرجه البخاري: ٢٥٣٥/٦.

(٢) ١٣٤١/٣.

(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه) أخرجه البخاري: ٢٢٢٨ / ٥.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط: ٢٦٧/٤ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٣٧/٨ (رواه الطبراني في الأوسط وقال لا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد عن شيخه علي بن سعيد بن بشير وهو لين وقد نقل ابن دقيق العيد أنه وثق ومحمد بن عروة بن البرند لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح) وفي الأدب المفرد: ٣٠/١ أتى البخاري بالرواية موقوفة على أبي هريرة.

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

لرضا الله والذي به دفع للبلاء والمصائب عنه وعقوقهما سبب لسخط الله مما قد يسبب للعبد البلاء فقال : «رضا الرب في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما»^(١). والمسلم الذي يريد رضا الله الذي أوصى بالوالدين عليه أن يبر بهما ويحسن إليهما ويتلطف ويرفق بهما لأن ذلك يرضيهما فإذا رضى كان ذلك سبباً لرضا الرحمن الرحيم عليه، والبر سبب كذلك لأن يدعوا له بما يجلب الخير له ويدفع الشر عنه بإذن الله فقد قال صلى الله عليه وسلم مينا نزول الخير للابن البار: «ثلاث دعوات لا ترد دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم ، ودعوة المسافر»^(٢). فحري بالمسلم الابتعاد عن عقوق الوالدين والنجاة من المصائب والبلاء والتي تحل بالابن العاق لأبويه بسبب دعائهما عليه لعقوقه وإغضابه إياهما فدعوة الوالد على ولده مستجابة. قال صلى الله عليه وسلم: «ثلاث دعوات مستجابات دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»^(٣). وقال صلى الله عليه وسلم: «كان جريح يتعبد في

(١) أخرجه الطبراني في الكبير: ٨٢/٢٠، وقال: (... في هذا إرسال بين مكحول وأم أيمن)، والبيهقي في الكبرى : ٣٠٤/٧.

(٢) أخرجه ابن ماجه: ١٢٧/٢، والبيهقي في الكبرى : ٣٤٥/٣، (وصححه الألباني) في السلسلة: ١٧٩٠٧.

(٣) أخرجه أبو داود: ٨٩/٢ ، والترمذي: ٣١٥/٤ ، وابن ماجه : ٢٧١/٢ ، وأحمد :

صومعة فجاءت أمه وقال حين دعتة جعلت كفها فوق حاجبيها ثم رفعت رأسها إليه تدعوه فقالت يا جريج أنا أمك كلمني فصادفته يصلي فقال اللهم أمي وصلاتي فاختر صلاته فرجعت ثم عادت في الثانية فقالت يا جريج أنا أمك فكلمني قال اللهم أمي وصلاتي فاختر صلته فقالت اللهم إن هذا جريج وهو ابني وإنني كلمته فأبى أن يكلمني اللهم فلا تمته حتى تريه المومسات قال ولو دعت عليه أن يفتن لفتن قال وكان راعي ضأن يأوي إلى ديريه قال فخرجت امرأة من القرية فوقع عليها الراعي فحملت فولدت غلاماً فقيل لها ما هذا قالت من صاحب هذا الدير قال فجاؤوا بفؤوسهم ومساحيهم فنادوه فصادفوه يصلي فلم يكلمهم قال فأخذوا يهدمون ديريه فلما رأى ذلك نزل إليهم فقالوا له سل هذه قال فتبسم ثم مسح رأس الصبي فقال من أبوك قال أبي راعي الضأن فلما سمعوا ذلك منه قالوا نبني ما هدمنا من ديرك بالذهب والفضة قال لا ولكن أعيدوه تراباً كما كان ثم علاه^(١). لقد استجاب الله عز وجل دعاء الوالدة على ولدها وإن كان داخلاً في عبادة الله فقد كان عليه طاعة

٣٤٨/٢، وصححه الألباني في السلسلة: ٥٩٦.

(١) أخرجه البخاري: ١٢٦٨/٣، ومسلم: ١٩٧٦/٤ واللفظ له.

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

والدته وإجابتها حتى ينقذ نفسه من البلاء المترتب على دعائها. يقول النووي: (باب تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها فيه قصة جريج رضي الله عنه وأنه أثر الصلاة على إجابتها فدعت عليه فاستجاب الله لها قال العلماء هذا دليل على أنه كان الصواب في حقه إجابتها لأنه كان في صلاة القربى والاستمرار فيها تطوع لا واجب وإجابة الأم وبرها واجب وعقوقها حرام وكان يمكنه أن يخفف الصلاة ويجيبها ثم يعود لصلاته)^(١). وسبب تقديم جريج صلاته على إجابة والدته أنه لم يكن فقيهاً عالماً بل كان عابداً. قال صلى الله عليه وسلم: «لو كان جريج عالماً لعلم أن إجابة أمه أولى من صلاته»^(٢). وفي رواية: «لو كان جريج الراهب فقيهاً عالماً لعلم أن إجابته دعاء أمه أولى من عبادة ربه»^(٣)، فالواجب على المسلم البر بوالديه لأن البر بهما من أسباب قبول دعائه النافع وهذا نراه

(١) شرح النووي على صحيح مسلم : ١٠٥/١٦.

(٢) أورده ابن حجر في الفتح : ٤٨١/٦، والعجلوني في الكشف: ٢/٢٠٩، وقال له شواهد... وذكر السخاوي في المقاصد: ١/٥٥٦ أن له شواهد، وقال الألباني في : سلسلة الأحاديث الضعيفة ١٥٩٩ (ضعيف).

(٣) أخرجه البغدادى في تاريخه: ٤/١٣، وأورده البيهقي في شعب الإيمان: ١٩٥/٦ (والهندي في كنز العمال رقم: ٤٥٤٤١، وقال السيوطي في الدر: ٥/٢٦٦)، أخرجه البيهقي وضعفه (...).

فيما روي عن عمر بن الخطاب فقد كان إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر^(١) حتى أتى على أويس فقال أنت أويس بن عامر قال نعم قال من مراد ثم من قرن قال نعم قال فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم قال نعم قال لك والددة قال: نعم، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والددة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل»^(٢) فاستغفر لي فاستغفر له فقال له عمر أين تريد قال الكوفة قال ألا أكتب لك إلى عاملها قال أكون في غبراء الناس أحب إلي قال فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشrafهم فوافق عمر فسأله عن أويس قال

(١) (أويس بن عامر وقيل عمرو ويقال أويس بن عامر بن جزء بن قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد المرادي القرني المشهور أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن عمر وعلي وروى عنه بشير بن عمرو وعبد الرحمن بن أبي ليلى ذكره بن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة وقال كان ثقة وذكره البخاري فقال في إسناده نظر وقال ابن عدي: ليس له رواية لكن كان مالك ينكر وجوده إلا أن شهرته وشهرة أخباره لا تسع أحدا أن يشك فيه) الإصابة/ ابن حجر: ١ / ٢١٩.

(٢) أخرجه: مسلم: ٤ / ١٩٦٩.

العبادات أسباب تحمي من المصائب ... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

تركته رث البيت قليل المتاع^(١). إن عمر رضي الله عنه من أفضل القرون من هذه الأمة وهو ثاني الخلفاء الراشدين ومن كبار الصحابة ومع ذلك قال له الرسول إن استطعت أن يستغفر لك فافعل فما السبب في ذلك؟ السبب هو قوله: «له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره».

بر الوالدين يرفع المصائب بعد وقوعها:

إن بر الوالدين سبب لرفع البلاء بعد وقوعه لأن الولد البار لوالديه دعاؤه مستجاب فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم حديث بين فيه فضل بر الوالدين وأنه سبب عظيم من أسباب رفع البلاء وتفريج الكرب والخروج من المضايق. قال صلى الله عليه وسلم: «بينما ثلاثة نفر يمشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم فقال أحدهم اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأتي ولي صبية صغار أرعى عليهم فإذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بني وأنه نأى بي ذات يوم الشجر فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما ناما فحلبت كما كنت

(١) أخرجه مسلم : ١٩٦٩/٤.

أحلب فجئت بالحلاب فقمتم عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أسقي الصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء وقال الآخر اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء وطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيتها بمائة دينار فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها فلما وقعت بين رجلها قالت يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه فقمتم عنها فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة ففرج لهم وقال الآخر اللهم إني كنت استأجرت أجيراً بفرق أرز^(١) فلما قضى عمله قال اعطني حقي فعرضت عليه فرقه فرغب عنه فلم أزل أزرقه حتى جمعت منه بقرأ ورعائها فجاءني فقال اتق الله ولا تظلمني حقي قلت اذهب إلى تلك البقر ورعائها فخذها فقال اتق الله ولا تستهزئ بي فقلت إني لا أستهزئ بك خذ ذلك البقر ورعائها فأخذه فذهب به فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقي ففرج الله ما بقي^(٢).

(١) (الفرق مكيال معروف بالمدينة وهو ستة عشر رطلا) مختار الصحاح / الرازي: ٢٠٩.

(٢) أخرجه مسلم: ٢٠٩٩/٤.

الخاتمة:

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات

وبعد :

لقد أمرنا الله بالتسليم والرضا بقضائه وقدره - سبحانه - ، فعلينا أن نؤمن بأن ما يقع للعبد من بلاء إنما هو بقضاء الله وقدره وعلى العبد دفعه ، وإن وقع فعليه الصبر ومحاولة رفعه ، ويكون منعه باتخاذ الأسباب المانعة له مثل الدعاء . قال ﷺ : « لا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر ، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه »^(١) ، فالدعاء يرد القضاء بإذن الله ، والبر من أسباب جلب النعم ، والذنوب من أسباب وقوع المصائب ، والعبادات أسباب تدفع المصائب قبل وقوعها ، وترفعها بعد وقوعها منها : التوكل والأذكار والصلاة ، والصلاة على الرسول ﷺ والصدقة والبر بالوالدين .

وعلى العبد الحرص على دفع البلاء والمصائب قبل وقوعها ؛ لأن دفع البلاء والمصائب أسهل وأهون من رفعها إذا وقعت .

(١) أخرجه ابن ماجه : ١٣٣٤/٢ ، وأحمد : ٢٧٧/٥ ، والحاكم بلفظه ٦٧٠/١ ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتابعه الذهبي .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم.